الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des sciences humaines et sociales
Département de philosophie

الرقم: .....

مذكرة تخرج لنيل شهادة

الماستـر

تخصص: (فلسفة تطبيقية)

الفلسفة البراغماتية عند "جون ديوي"

مقدمة من قبل:
الطالب (ة): فطايمية أميرة
الطالب (ة): بوفاس إناس
الطالب (ة): مرارشة إيمان

الأستاذ المشرف:
د. العالم عبد الحميد

أعضاء لجنة المناقشة:

الأســتاذ (ة)	مؤسسة الانتماء	الصفة
كحول سعودي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
العالم عبد الحميد	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
فرحات فريدة	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

سورة البقرة/الآية 32.

شكر وامتنان

إن الشكر لله ذي الجلال الذي عجزت عن إدراك كنهه عقول العارفين،

والكمال الذي قصرت عن إحصاء ثنائه ألسنة الواصفين،

والعلم الذي أحاط به فوق العرش إلى أطباق الثرى.

وبعـد

إنه لمن دواعي الشكر والامتنان أن نتقدم بأسمى معاني التعبير،

وأرفع العبارات إلى الأستاذ الفاضل "العالم عبد الحميد"

على مدى صبره طيلة هذا البحث،

والذي كان سراج بحثنا المنير،

مؤطرا إياه بالرعاية والعافية.

"أدامك الله نبعا يفيض بالعلم والعطاء"

كما نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى

جميع أساتذة قسم الفلسفة

والذين أمدونا بيد العون.

إهـــداء

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا ملؤه السماوات والأرض

والصلاة والسلام على نبي الرحمة ونور العالمين

-عليه الصلاة والسلام-

أهدي عملي هذا على الينبوع الذي لا يمل العطاء

إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها

والدتي العزيزة "دليلة"

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليشق لي طريق العلم

أبي العزيز "مروش"

إلى توائم روحي ورفقاء دربي، إلى أصحاب القلوب الرقيقة

والنفوس البريئة أخواتي الأحباء:

"رنيم، محمد صهيب، توبة، رتيل"

إلى الروح التي فارقتني منذ سنين

ولكنها سكنت في ذاكرتي فلم ولن ننساك

أخي حبيبي "سيف الدين" رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

إلى من فرح قلبي وفؤادي زوجي وشريك حياتي "عامر".

أميرة

إهـــداء

ليس في الوجود ما نصبوا إليه غير الرضا من المولى عزّ وجلّ
والعافية في أمور الدين إلى الذين قال فيهما الرحمان:
وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)
سقطت مني الكلمات وتلألأت في عيني العبارات وباتت نفسي تهوى السكات
إذ كيف لي وصف أو مدح أو شكر من كان سببا لي في الحياة،
من هما نور في الحياة وصراط بعد الممات
أهدي ثمرة جهدي إلى التي كتبت أسماءنا على مقالات عيوننا،
إلى مصدر بهجتي ومنيرة دربي إلى التي علمتني التحدي
وساعدتني لأقطف وردة الحياة، إلى الأم العظيمة التي سقتني حبا
مع كل صرخة غضب وكل لمسة حب، أهديها عمري وكل جميل في حياتي
وكل نبضة من هذا لقالب، عفوا أمي عفوا حبيبتي الغالية "حورية"
إلى الذي يقابلني بالإحسان ويغمرني بالأمان
إلى القوة الروحية التي تدفعني إلى الأمام
إلى رمز العطاء الذي لا يعرف عطاؤه الحدود، وأنتظر بصمت وشوق
ثمرة نجاحي ولم يبخل علي جهدا أو مالا لتربيتي وإنارة بصيرتي
إلى الذي علمني أن نيل المطالب ليس بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
إلى أبي "بوجمعة" أإلى ما أملك.
إلى قرة عيني إلى القلب الحنون إلى رمز الجدية والوفاء والنفس المفعمة **بالأمل**
والحب إلى أإلى هدية من رب السماء، إلى كل إخوتي ومستشاراتي في الحياة،
"عفاف وزوجها محمد وأولادها سيف الإسلام ورتاج"،
"ريمة وزوجها كمال وأولادها محمد أنس ومنصف"،
"وسام وزوجها كريم وأولادها أحمد إبراهيم والكتكوتة آلاء ، هناء وزوجها بلال".
إلى صديقاتي ورفيقات الدرب اللواتي لم أحس أنني غريبة ولا وحيدة وسطهن
إلى صاحبة القلب الكبير الحلوة "**إنلس**"
إلى الوردة الفاتنة "أميرة"، **إلى رمز الصحبة والإخلاص** "رميساء"
إلى العنبة الصافية الرقيقة "بثينة"، وإلى صديقات الطفولة
"نورجيهان" و"**إكرام**" و"**وسام**"
دون أن أنسى "نسرين" و"**وصال**"
وأتمنى لكل صديقاتي الحظ السعيد والنجاح والتوفيق.
إلى كل الأهل والأقارب إلى كل من أحبوني وأحببتهم بإخلاص ووفاء
وكانوا أنبل ما في الوجود، إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم ورقتي
أنا لن أنساكم مدى الحياة.

إيمان

إهـــداء

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل ونسأل الله أن يلهمنا

سدادا في الرأي والإخلاص في العمل

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى:

أعظم امرأة بين نساء الكون، إلى من أفضلها على نفسي

ولم لا فلقد ضحت من أجلي كثيرا..أمي الغالية "صباح"

إلى من رأيت من خلاله ذاتي وكان منصب آهاتي

صاحب الوجه الطيب والأفعال الحسنة فلم يبخل علي طيلة

حياته، والدي العزيز محمد سمير.

إلى كل من ترعرعت معهم ونما غصني بينهم:

إخوتي أنيس، صلاح، سهام، حنان.

إلى الذي وهبني بسمة الأمل وإشراقه

والذي أنار دربي وكان سندي زوجي "أكرم"

إلى التي سوف تدخلني الأمومة ابنتي الغالية،

إلى كل الأقارب والأهل من أفراد أسرتي بوفاس

وأفراد أسرة زوجي شرفة. كبيرهم وصغيرهم

وإلى زوجة أخي أحلام.

إناس

Pixiz

خطة البحث:

قبس

شكر وامتنان

إهداء

مقدمة

الفصل الأول: مفهوم الفلسفة البراغماتية وجذورها

المبحث الأول: مفهوم البراغماتية

أ. لغة.

ب. اصطلاحا

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للفلسفة البراغماتية

أ. الجذر الفلسفي البراغماتي

ب. الجذر العلمي

المبحث الثالث: مبادئ الفلسفة البراغماتية

الفصل الثاني: السيرة الذاتية "لجون ديوي" وأهم أفكاره

المبحث الأول: حياته ومؤلفاته

المبحث الثاني: المرجعية الفلسفية لفكر "جون ديوي"

المبحث الثالث: الفلسفة الأداتية

الفصل الثالث: مجالات تطبيق الفلسفة البراغماتية

المبحث الأول: في المجال التربوي

المبحث الثاني: في المجال الأخلاقي والديني

المبحث الثالث: في المجال المعرفي والمنطقي

المبحث الرابع: نقد وتقييم

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

مقدمة

مقدمة:

يعيش العالم في القرن الحالي تقدما ملحوظا في مجال الفكر المادي، وهذا الفكر هو امتدادا لما كان عليه في القرن الماضي، حيث ظهرت فلسفات عديدة وكان على رأس هذه الفلسفات الفلسفة البراغماتية التي برزت في منتصف القرن التاسع عشر حتى وقتنا الحالي، تعتبر هذه الفلسفة ثورة على الفلسفات التي سبقتها والتي تؤمن بالأمور النظرية، والتأمل العقلي من أجل الوصول إلى معرفة الحياة والحقائق والوجود فهي تنظر للطبيعة الإنسانية على أنها مرنة ووظيفية، تمقت البحث النظري العقيم الذي يركز على كِنَّة الأشياء ومصادرها، وأخذت تركز على نتائج الأعمال وعواقبها، وأجازت للإنسان أن يتخذ من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا، ثم السير بالحياة نحو سمو وكمال ثانيا، حيث ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنشاط الفلسفي في ثوبه الأمريكي فكان تركيزها على ما هو عملي مباشر واضح الفائدة. فهي رافد من روافد التيار المادي في معناه الواسع، كما أنها وثيقة الصلة بالفلسفة النفعية، هذا يعني أن الفلسفة البراغماتية ليست منقطعة الصلة بالماضي.

وللفلسفة البراغماتية العديد من الرواد من أهمهم "جون ديوي" "John Dewey" الذي يعد أحسن من عبر عن هذه النزعة العلمية التي سيطرت على الفكر البراغماتي الأمريكي، حيث حاول عبر مشروعه الكبير تجديد وإصلاح الفلسفة والعلم أن يطبق كل معارفه في سبيل تحقيق هدفه الأسمى الذي يسعى إلى إحلال السلام والأمن في العالم.

إطلع "ديوي" على معظم تاريخ الفكر البشري وإنجازاته المعرفية، حيث شارك في الكثير من المؤتمرات الدولية محاولا تأسيس فلسفة جديدة تعبر عن روح أمريكا الواعية المدركة المثقفة، وتتم ما بناه أسلافه متبنيا فلسفته البراغماتية الخاصة به، فنجده وصفها بأنها فلسفة معاكسة للفلسفة القديمة التي تبدأ بالتصورات وبقدر صدق هذه التصورات تكون النتائج، فهي تدعو الواقع أن يفرض عن بشر معنى الحقيقة، وليس هناك حق أو حقيقة ابتدائية تفرض نفسها على الواقع.

أطلق "جون ديوي" "John Dewey" على الفلسفة البراغماتية اسم الأداتية instrumentalism تمييزا لها عن زملائه "بيرس" و"وليم جيمس" و"شيلر" فالأداتية تعبر عن رؤيته الخاصة للعلم والفلسفة، إنها التفسير المنطقي والمعرفي الذي استخدمه "ديوي" في دراساته المعرفية والمنطقية ليدل به على أن الأفكار ومعانيها ما هي إلا أدوات لتوجيه الإجراء لتجربة معينة، حيث اعتمد "ديوي" على كثير من المبادئ أو

الخصائص في هذه الفلسفة وأبرز أهمية مرجعية الفلسفة ليعبر عن رؤيته الخاصة بالفلسفة، حيث انطلق من الواقع الأمريكي وحاول تقديم إصلاح في شتى مجالاته التي تعتبر من بين أهم المجالات التي استخدمها وطبقها في فلسفته البراغماتية.

ومن هنا نجد أن هناك اهتمام كبير بهذه الشخصية باعتبارها نموذجا معبرا عن الفلسفة البراغماتية في صورتها الأداتية حيث يرتكز اهتمامها على الفعل من خلال تفعيل حياة الإنسان مع واقعه، كل ذلك يدفعنا إلى اختيار هذه الشخصية كموضوع لبحثنا.

أما عن أهمية هذه الدراسة من حيث أنها تقدم وتبرز لنا مفهوم البراغماتية عند "جون ديوي" "John Dewey" وأهم مجالاته الواسعة، كذلك تبين لنا أهمية المبادئ التي قامت عليها الفلسفة البراغماتية وإبراز مرجعيته الفكرية الفلسفية.

أما فيما يخص الهدف من دراسة هذا الموضوع يمكن حصره فيما يلي:

تسليط الضوء على الفلسفة البراغماتية لجون ديوي حيث جعلها ناجحة في ظل المجتمع الأمريكي، كما حاول من خلال أفكاره جعل المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان مجتمعا واعيا مثقفا.

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فإن أي موضوع لا يتم اختياره آليا أو صدفة بل هناك العديد من الأسباب الذاتية والموضوعية التي تدفع بالباحث نحو وجهة، وتظهر هذه الأسباب فيما يلي:

نجد الأسباب الذاتية التي تتجلى في اهتمامنا بالفلسفة البراغماتية وخصوصا عند "جون ديوي" "John Dewey"، حيث كانت رغبتنا في الكشف على فكر هذا الفيلسوف بمختلف جوانبه.

ومن الأسباب الموضوعية التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هي محاولة التعرف على بعض آراء هذا الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" "John Dewey" في الفلسفة البراغماتية، وكذلك تكوين أرضية واسعة لفهم جوانب كثيرة في فلسفة "ديوي"لتوضيح الجانب المعرفي والعلمي في مجال الفلسفات المعاصرة.

أما عن الدراسات السابقة حول الفلسفة البراغماتية وتحديدا عند جون ديوي فهي من المراحل المهمة في منهجية البحث العلمي بهدف التعرف على المساهمات السابقة فيما يتعلق بموضوع الدراسة، كما نجد هناك بعض الدراسات التي قام بها بعض الباحثين منها:

- محمد جديدي تحت عنوان فلسفة الخبرة دون ديوي نموذجا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 2004.
- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، ط 3، القاهرة، 1919.
- وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 2010.

وفيما يتعلق بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها أهمها وكان أهمها:

- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، تر: أحمد حسن الرحيم، منشورات دار مكتبة الحياة، ط 2، لبنان، 1989.
- جون ديوي، الخبرة والتربية، تر: محمد بسيوني ويوسف الحمادي، دار المعارف، مصر، 1954.

لذا فإن كل هذه المقدمات والانشغالات والأسباب والدراسات خلقت جملة من مشكلات وتساؤلات فرعية لهذه الدراسة:

إذا كانت الفلسفة البراغماتية قد تعددت معانيها بتعدد روادها وأقطابها، فما هو مفهوم جون ديوي لها ؟ وما هي الأسس التي قامت عليها فلسفته ؟ وأين تظهر تطبيقاتها ؟

أما عن التساؤلات الفرعية التي يمكن إجمالها فيما يلي:

كيف يقدم لنا "ديوي" البراغماتية ؟ وما هي سيرته الذاتية وأهم أفكاره التي اعتمد عليها في فلسفته ؟ وما هي أهم المجالات التي قام بتطبيقها في فلسفته ؟

من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة تضم مقدمة وخاتمة وبينهما ثلاثة فصول.

فالمقدمة كانت عبارة عن تعريف بموضوع الدراسة والبحث، كما ذكرنا المرجعية الفكرية والفلسفية، وطرحنا في هذا البحث إشكالية جوهرية ثم عرضنا بعض التساؤلات الممكنة.

أما الفصل الأول: المعنون بـ: **مفهوم الفلسفة البراغماتية وجذورها**، ويشتمل على ثلاثة مباحث الأول حملناه بعنوان "مفهوم الفلسفة البراغماتية" حيث عرضنا تعريفا لغويا واصطلاحيا لمفهوم البراغماتية، والمبحث الثاني تحت عنوان: "الجذور التاريخية للفلسفة البراغماتية"، حيث قدمنا فيه:

أ- الجذر الفلسفي البراغماتي.

ب- الجذر العلمي.

أما المبحث الثالث تضمن: "مبادئ الفلسفة البراغماتية".

أما الفصل الثاني: كان موسوم: **السيرة الذاتية لجون ديوي وأهم أفكاره**، ويشتمل أيضا على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: "حياة جون ديوي ومؤلفاته" وهو نموذج الدراسة، أما المبحث الثاني تحت عنوان "المرجعية الفلسفية لفكر "جود ديوي"" "John Dewey"، أي المدارس العلمية والنظريات الفلسفية التي تأثر بها، والمبحث الثالث تحت عنوان: "الفلسفة الأداتية التي يرتكز عليها "جون ديوي" "John Dewey"".

والفصل الثالث المسمى بـ: **مجالات تطبيق الفلسفة البراغماتية**، نجده يتكون من اربعة مباحث، المبحث الأول المعنون بـ: "في المجال التربوي" الذي يتضمن أفكار "ديوي" نحو المجتمع والدراسة، والمبحث الثاني: "في مجال الدين والأخلاق" أي مكانة الأخلاق والدين في المجتمع، والمبحث الثالث تحت عنوان: "المجال المعرفي والمنطقي"، والمبحث الرابع والأخير تحت عنوان"نقد وتقييم" وذلك من خلال تقيم فلسفة "ديوي" وبعض الآراء الموجهة له. وخلصنا في الأخير إلى حوصلة ختامية لكل ما قمنا بعرضه.

كما اعتمدنا في عملنا على مجموعة من المناهج منها المنهج التحليلي الذي قمنا من خلاله بتحليل أهم الأفكار التي وقعت عليها فلسفة "ديوي" وذلك بشرح وتنسيق العبارات لاستخراج الأفكار العامة التي يقوم عليها هذا الموضوع، بالإضافة إلى ذلك اعتمدنا على المنهج التاريخي وذلك بغية معرفة تاريخ البراغماتية عبر العصور وتطورها. وكذلك اعتمدنا على المنهج النقدي وهذا باستعراض جملة من الآراء النقدية حول البراغماتية ومجالات فكره.

وهناك الكثير من الصعوبات والعوائق التي واجهتنا في إنجاز هذا العمل ضمن هذه المذكرة أهمها:

– ضيق الوقت وهذا راجع إلى اليوم الإضافي للدراسة في الجامعة وفي نفس الوقت قمنا بالتربص في الثانوية وإنجاز المذكرة، وكذلك نجد أكبر صعوبة واجهتنا هو عملية التفويج وهذا جعلنا لا نلتقي بالأساتذة لكي نأخذ المعرفة من عندهم، أما فيما يخص موضوع المذكرة نجد أن فلسفة "جون ديوي" "John Dewey" عميقة جدا، وهذا راجع لشموليتها في جميع مجالاتها الفلسفية فنجدها من الصعب الإحاطة بكل موضوعاتها، نجد كذلك شساعة الموضوع وقلة المراجع إلا أن الأفكار كانت مكررة ومتشابهة.

بالرغم من هذه الصعوبات فأملنا هو أن يفتح عملنا هذا على آفاق جديدة في المستقبل وتكون هادفة، ويستوعب فكر الآخرين وثقافتهم.

الفصل الأول:
مفهوم الفلسفة البراغماتية وجذورها

الفصل الأول: مفهوم الفلسفة البراغماتية وجذورها.

المبحث الأول: مفهوم البراغماتية.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للفلسفة البراغماتية.

المبحث الثالث: مبادئ الفلسفة البراغماتية.

تمهيد:

يعد الفكر الفلسفي الأمريكي نسيجا من خامات متعددة من مختلف أصقاع العالم، حمل جذورها أناس رحلوا من بلدانهم باحثين عن الثروة والحرية، ويمثل هؤلاء الناس شريحة منتقاة من المتعلمين والمغامرين والرأسماليين، حملوا كذلك أفكارا تبشيرية، وفلسفات متنوعة، وهذا كله لتشكيل الفكر الفلسفي، حيث ورثوا الأجيال المتأخرة من المهاجرين الجرأة والتقدم والاعتماد على النفس، وحب المغامرة والتحرر من التقليد وتوظيف العقل في تطوير الطبيعة، واعتبار التقدم المنجز والنجاح المادي دليلا واضحا على صحة السبل والوسائل التي يتبعها، وهذه السمة تمثل جوهر الفلسفة البراغماتية، **فما هو تعريف البراغماتية؟ وفيما تتمثل جذورها؟ وما هي مبادئها الفلسفية عند جون ديوي؟**

المبحث الأول: مفهوم البراغماتية.

تعريف البراغماتية:

أ. لغة:

ترد فكرة البراغماتية الاستشراف العملي والبراغماتي يعني العمل وهي: « كلمة مشتقة من لفظ يوناني "Pragma" الذي يدل على الفعل والعمل ».[1]

حيث نجد في تعريف آخر بأن البراغماتية وتعني العمل، وهذا ما نجده في المعجم الفلسفي "**جميل صليبا**" حيث عرفها بأنها: « البراغماتية اسم مشتق من اللغة اليونانية براغما (Pragma)، ومعناه العمل».[2]

وكما جاء كذلك في المعجم الفلسفي "جميل صليبا" بأن العمل هو: « الفعل، والمهنة والصنعة تقول عمل عملا فعلا عن قصد بين العمل "Action" بالفعل "Act" أن العمل أخص والفعل أعم لأن الفعل قد ينسب إلى القوى المادية في قولنا فعل الطبيعة وفعل الحرارة، أما العمل يطلق إلا على الفعل الذي يكون العاقل بفعل ورؤية وقصد وهو يحتاج إلى امتداد الزمان، أما الفعل قد يتم دفعه من غير ربط، وقد يطلق العمل على كل فعل حادث عن الفاعل نفسه دون تأثير خارجي فيعم بهذا المعنى أفعال القلوب والجوارح ويطلق على التأثير الذي يحدثه الفعال غيره ».[3]

وهنا نجد أنه من ناحية الاشتقاق ومن ناحية العديد من التعريفات للبراغماتية نجد أنه جرى الاتفاق على أنها أخذت من اليونانية، لتعني الفعل، سواء باستعمالها كاسم أو كصفة.

ب. اصطلاحا:

بالعودة إلى المعاجم من أجل التأسيس لمفهوم "**البراغماتية**" كمفهوم فلسفي نجد أنها: « مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل حق ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية ».[4]

---

[1] فؤاد كامل، الفكر الفلسفي، دار الجبل، بيروت، 1993، ص97.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج 1، بيروت، لبنان، 1982، ص203.

[3] المصدر نفسه، ص104.

[4] المصدر نفسه، ص203

فالمبدأ الأساسي والصحيح الذي ترتكز عليه البراغماتية في إثبات صحة وصدق فكرة هو ما تؤدي إليه من نتائج عملية تكون ناجحة في الحياة والأخذ بها من أجل بناء أفكار جديدة، وهذا هو العامل المشترك بين الفلاسفة والبراغماتيين.

أما بالنسبة للمعجم الفلسفي "**لمراد وهبة**" نجد أن البراغماتية كلمة قديمة لها معاني كثيرة ومختلفة، خاصة عند الفيلسوف "**تشارلز بيرس**" في مقاله بعنوان "**كيف نوضح أفكارنا**" نجدها واضحة في قاعدتها الأساسية للتحقق من المعاني التي يستخدمها فيقول: «**إن تصورنا لموضوع ما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر** ».[1]

وهو لفظ « ابتدعه موريس وهذا يعني أن علامة الحقيقة أو معيارها العمل المنتج لا الحكم العقلي ».[2]

استعمله بيرس في أخريات القرن الماضي وأراد به « أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا مجرد التأمل النظري، وهي كذلك مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملا، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة له صور في الفلسفة والدين والأخلاق والاجتماع »[3].

ونجد كذلك في المعجم الفلسفي عند "**إبراهيم مذكور**" أن البراغماتية عند الفيلسوف "**كانط**" « التاريخ البراغماتي هو ما يرى كشف المستقبل في ضوء الحاضر وعنده أيضا الاعتقاد البراغماتية هو التسليم بأمر لضرورة عملية مثل محاولة الطبيب تشخيص المرضى بصفة مبدئية ». [4]

يرشدنا الفيلسوف "**جون ديوي**" "John Dewey" إلى أن البراغماتية وما تعنيه من الدلالة الاصطلاحية في قوله: « إني أؤكد على سبيل الجزم أن لفظ براغماتي لا يعني إلا قاعدة إرجاع كل تفكير وكل الاعتبارات التأملية إلى نتائجها ».[5]

---

[1] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للنشر والتوزيع، ط 5، القاهرة، 2007، ص137.

[2] المرجع نفسه، ص138.

[3] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص32.

[4] المرجع نفسه، ص32.

[5] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة: جون ديوي نموذجا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 2004، ص18.

أو كما قال عنها في موضوع آخر: « البراغماتية كاتجاه يمثل ما وقف بيرس في تسميته "العادة المخبرية للذهن" وقد امتدت لتشمل كل ميدان يمكن للبحث أن يثمر فيه ويعطي نتائج ».[1]

يتبين إذن أن البراغماتية تتمثل في كونها قاعدة أو عادة معملية للذهن بالإشارة إلى صبغتها المنهجية، وباعتبارها طريقة للتأكد والبحث والتثبت من المفاهيم وإخضاعها لمحك الاختبار.

كما تحدث **جون ديوي** عن الفلسفة البراغماتية بأنها فلسفة تصور العصر العلمي الذي نعيش فيه اليوم بصفة عامة، وتصور الحياة العملية التي يعيشها الأمريكيون في مدينتهم الصناعية الحديثة بصفة خاصة.

حيث نجد براغماتية "**جون ديوي**" "John Dewey" إلى حل ومعالجة المشاكل الاجتماعية، لهذا أسماها بالأداتية لأنه يرى أن التفكير أداة أو وسيلة تحل وتعالج مشكلات الناس الاجتماعية والخاصة « أن عملية البحث يتدخل فيها التفكير والخبرة والسياق ولذلك يسمي مذهبه بأي اسم من هذه العمليات »[2]. فإن الأفكار هي أدوات ننجز بواسطتها بعض النتائج المرغوب فيها.

[1] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة: جون ديوي نموذجا، المرجع السابق، ص18.

[2] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، ط 3، القاهرة، 1959، ص90.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للفلسفة البراغماتية.

نتطرق إلى المصادر أو أصالة التفكير البراغماتي التي ساهمت في بلورة البراغماتية بالرجوع إلى الكثير من الفلسفة والمدارس الفلسفية السابقة، وأن هناك جذور فلسفية براغماتية وجذور علمية.

أ- الجذر الفلسفي البراغماتي:

I. العصر اليوناني:

أ. المدرسة السفسطائية:

الفلسفة السفسطائية من زعمائها الأوائل برتاجوراس، أقر السفسطائيون بأن « الخبرة الحسية تختلف من فرد إلى آخر »،[1] وقد تجلت براغماتية بروتاجوراس في مقولته الشهيرة: « الإنسان مقياس الأشياء جميعا».[2]

فبذلك وصلوا إلى مذهب ذاتي ونسبي في الاعتقادات والأخلاق والمعرفة، وهناك نفس الأفكار عند البراغماتية، وكذلك قال أيضا: « إن الأشياء هي بالنسبة إلي كما تبدو لي وبالنسبة إليك كما تبدو لك أنت إنسان وأنا إنسان ».[3] إن السفسطائية سبقت غيرها من المدارس الفلسفية بتوجيه الأنظار نحو دراسة الإنسان.

إن فلاسفة السفسطائيين جعلوا الفرد مقياس الأشياء أي مقياس الخير والشر والحق والباطل والصواب والخطأ، فكانت تؤمن بالحقيقة قولا وفعلا وإن البراغماتية كانت بعيدة عن كل ذلك، فكان الإنسان موضوعها والبحث عن فائدته وغايتها فليس للفكرة معنى إذا لم تكن واضحة.

إن البراغماتية "فلسفة" قديمة لها جذورها عبر التاريخ ما قاله أحد أعلامها **وليام جيمس** في كتابه البراغماتية، قال: « البراغماتية اسم جديد لطرائق قديمة في التفكير ».[4]

إن السفسطائية أول المدارس الفلسفية التي ساعدت البراغماتية في تكوين جزء من طروحاتها الفلسفية ذات الأبعاد الإنسانية.

---

[1] محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، ص45.

[2] المرجع نفسه، ص46.

[3] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص63.

[4] وليام جيمس، البراغماتية، تر: وليد شحادة، دار الفرق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2014، ص66.

ب. سقراط [480 ق.م – 399 ق.م]:

من التأثيرات الأخرى للفلسفة القديمة هو تأثير فكر سقراط تناول في فكره الذي تأثرت به الفلسفة في نظرته للأخلاق والخير والشر ومدى ارتباطها بالإنسان، إن الإنسان عند سقراط « يعمل الشيء إذا وجده نافعا ويتركه إذا وجده مضرا مؤذيا، ولهذا يمكن أن تكون الأخلاق السقراطية أخلاقا نفعية، كذلك نادى بأن العمل أساس الفضائل لكل إنسان ».[1] وهذه النظرية يمكن أن يكون لها أثر في الفلسفة البراغماتية لأن الأساس في البراغماتية هو العمل والنجاح « فالخير الحقيقي عند سقراط هو اتصال عمل كل فرد لخير المجموع فيتحقق الخير الأقصى ».[2]

إن سقراط يعد أحد الجذور المعرفية للبراغماتية، فإن نظرة سقراط للأخلاق نظرة براغماتية ولذلك كان لسقراط فلسفة فعلية براغماتية بمعنى من الجذور المعرفية التي تأثرت بها البراغماتية.

ج. الأبيقورية:

المدرسة الأبيقورية ظهرت على يد أبيقور 341–270 ق.م وسميت على اسمه، وهذه المدرسة من آخر المدارس الفلسفية التي أثرت في الفلسفة البراغماتية بشكل واضح.

« إن صلة القرابة بين الفكر البراغماتي والمدرسة الأبيقورية هو أن الأبيقورية تدعو إلى استخدام ألفاظ واضحة وقريبة من أذهان الناس ».[3]

هذه الدعوة كانت من أهم النقاط التي شغلت الفلاسفة البراغماتية إلى جانب قول الأبيقورية بمبدأ اللذة «فقد أنكر الأبيقوريون فيه على الإنسان حق الاشتغال بالعلم من أجل العلم لأن الاشتغال بالعلم من أجل العلم لا يفيد شيئا إذا لم يكن تحته عمل مؤدي إلى السعادة عن طريق العمل والتطبيق »[4]، والبراغماتية قد آثرت كذلك الاشتغال بالعلم من أجل العمل « الفكرة مفيدة لأنها صحيحة ولأنها صحيحة لأنها مفيدة »،[5] «إن بيرس أراد أن يكون مقياس الفكرة أي فكرة هو نفسه المقياس العام للفكرة العملية وهو أن تكون عامة

---

[1] علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، دار الكتب العلمية، لبنان، 2008، ص36.

[2] المرجع نفسه، ص37.

[3] المرجع نفسه، ص39.

[4] بدوي عبد الرحمان، خريف الفكر اليوناني، دار مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1943، ص71.

[5] وليام جيمس، البراغماتية، المرجع السابق، ص233.

ويشهد بنتائجها الجميع، فالفكر يجب أن يشتغل منزلة في الحياة والمنفعة الأبيقورية ترى أن ما قد خلا من العمل ولم يؤد إليه لم يكن نحوه لا فائدة منه للفيلسوف ».[1]

يمكن القول أن البراغماتية تعد طريقة جديدة في التفكير وامتدادا للنهضة الأبيقورية وإن كلاهما يدعو إلى العمل وتحقيق الطمأنينة، فالأبيقورية كانت تدعو لتحقيق اللذة مع السعادة والعمل، ولا شك أن البراغماتية كانت بدورها تدعو إلى ذلك إن هذه النظرية الأبيقورية تطورت عند البراجماتيين وإن العلاقة الوثيقة بين الفكر والعمل حيث تكون النتائج عملية نافعة للإنسان هكذا كانت البراغماتية امتدادا للمدرسة الأبيقورية أي المنفعة الأبيقورية.

II. العصر الوسيط:

هناك عدد من الفلاسفة في العصور الوسطى قد أثروا في الفكر البراغماتي، ولكننا سنخص بالذكر **دونس سكوت** لأنه أثر وبشكل كبير وواضح في فكر بيرس.

« لقد آمن بيرس إيمانا كبيرا بفلسفة سكوت حتى أنه يسمي نفسه سكوتي من شدة تأثيره بسكوت عده واحد من أعظم الميتافيزيقيين على الدوام تعلم بيرس من سكوت أنه بالإمكان السعي وراء الفلسفة باعتبارها علما منفصلا فقد دعا بيرس إلى أن الفلسفة مستقلة عن العلم وهي التي تسيره وقد أراد أن يجد ما يؤيد به رأيه هذا»،[2] « وبدراسة لتاريخ الفلسفة وجد في سكوت الفيلسوف الذي يتفق وآراءه وقد أعلن سكوت باستقلال الفلسفة عن علم اللاهوت، فالمدة التي عاش فيها كانت الفلسفة حينها في خدمة اللاهوت وكانت موضوعات البحث لا تخرج عما تبتغيه الكنيسة فخرج سكوت مدافعا عن الفلسفة من السيطرة اللاهوتية، أما بيرس فدعا إلى فصل الفلسفة عن العلم لأن المدة التي عاش فيها بدأ مجال البحث العلمي بالسيادة ».[3] إن سكوت حاول التوفيق بين العقل والإيمان وحاول أن يجعل من العقل يتناسب مع خدمة الفلسفة كما يتناسب مع خدمة اللاهوت، وقد أعجب بيرس بعملية التوفيق التي أقامها سكوت بين العقل والإيمان، وهكذا نرى مدى تأثير بيرس بالفيلسوف سكوت.

[1] علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، المرجع السابق، ص39.

[2] المرجع نفسه، ص40.

[3] المرجع نفسه، ص41.

III. الفلسفة الحديثة:

أ. المدرسة العقلية:

من الشخصيات الفلسفية التي أثرت في فكر بيرس هو الفيلسوف الألماني **كانط** « فقد عرف بيرس الفيلسوف كانط منذ الصغر قرأ كتاب نقد العقل المحض وهو في سن مبكر من عمره حتى أنه حفظه عن ظهر قلب ويؤكد بيرس أن البراغماتية قد تحددت وتشكلت معماريا أخذا عن كانط أكد بيرس أنه الوحيد من البراغماتيين الذي دخلت ساحة الفلسفة من باب كانط إلا أن أفكاره كانت إنجليزية ».[1] إن بيرس كان متؤثرا بنظرية كانطية من خلال دراسة لكانط وتأثره به، ورغم كانط لا يتفق مع البراغماتية في موقفها الفلسفي الأساس فقد كان رائدا لها في عدة وجوه.

« أولا: تميزه بين أنشطة العقل الخالص وأنشطة العقل العملي وأقر أن السلوك الأخلاقي لا يمكن أن يكون إلا من خلال بعض الأفكار التي لابد من التسليم بها مثل حرية الإرادة، وقد توسع البراغماتيون في هذا المجال وربطوا معاني جميع الأفكار بالوظائف التي تحققها.

ثانيا: يقر البراغماتي بما ذهب إليه كانط من أهمية الذهن بوصفه العامل الفعال في تفسير التجربة ولكنه لم يقر بالمقولات الذهنية التي تلعب دور أساسي في نظرية المعرفة الكانتية ».[2]

« ثالثا: يقر البراغماتي بالنقد الكانتي للميتافيزيقا التأملية ويصر تماما بأن الأفكار[3] لا يمكن أن تشير إلى موضوعات تقع خارج نطاق الخبرة الحسية ».[4]

كانط كان يرى أن الأخلاق تتطلب فعلا غير متأثر كليا بغايات الإنسان فكذلك بيرس يناقش الواقع بأنه يتطلب بحثا غير مرتبط بالغايات الشخصي فإن بيرس كان متأثرا بكانط من خلال دراسته له.

---

[1] علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، المرجع السابق، ص47.

[2] محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص48.

[3] المرجع السابق، ص49.

[4] المرجع السابق، ص49.

ب. المدرسة التجريبية:

ساهد العديد من الفلاسفة التجريبيون في خلفية التفكير البراغماتي « فنجد فرانسيس بيكون 1561-1626 العديد من النظريات التي قام بها البراغماتيون في مجال المعرفة كان لآراء بيكون دور رئيسي في يبناء المدرسة التي أعطت دورا مهما ورئيسيا للملاحظة والتجربة في عملية المعرفة »،[1] فقد عد « العقل أداة تجريد وتصنيف ومماثلة فإذا ترك يجري على سليقته انقاد لأوهام طبيعية فيه ».[2] وما جاء به جون لوك 1632-1764 الذي أكد على أن « العقل صفحة بيضاء تأتيه الانطباعات من الخارج وأن ليس هناك مبادئ أولية في الذهن فلو كانت المبادئ الأولية غريزية يلزم أن توجد عند جميع الناس دائما ».[3]

أصبحت المدرسة التجريبية من أهم المدارس الفلسفية التي أثرت في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر وإن كل من فرنسيس بيكون وجون لوك ينتميان إلى المذهب التجريبي، وأهم ما جاء به هذا المذهب هو التأكيد على أن المصدر الأول للمعرفة يرجع إلى الحواس والتجربة وينفون دور العقل في إصدار المعرفة.

ب- الجذر العلمي:

لبلوغ العلم درجة الكمال يجب أن تكون له قدرة النجاح العلمي والمنهج العلمي باعتباره المصدر الأساسي للبراغماتيين فالهدف من المعرفة أولا ليس من أجل الوصول إلى أهداف عقلانية، لا بل من اجل اتخاذ قرارات وإجراءات أكثر فاعلية لتحقيق أهدافنا في الحياة باعتبار أن المعرفة تعتمد على الخبرة.

يمكن القول بخصوص الأصول العلمية أن البراغماتية لها الكثير من روادها أولهم بيرس، جيمس، دون ديوي حيث يعد بيرس هو أب البراغماتية، « عُرف باشتغاله بالرياضيات والمنطق، وجيمس كان منصرفا إلى الطب وعلم النفس وكان انشغالهم بالعلم من جهة كونه منهجا وليس نتيجة تقنية ».[4]

ومن هنا نستنتج أن البراغماتيين وصلوا إلى أن الفكرة لا تكون لا تكون صادقة إلا إذا وصلنا من خلالها إلى نتائج تفيدنا وتقودنا إلى التقدم الذي نرجوه في حياتنا، وهذا هو العمل الإيجابي الذي تدعمه الفلسفة البراغماتية، حيث كان ظهورها الأول على يد الفيلسوف الأمريكي "**تشارلس ساندرس بيرس**" يعتبر بأنه أب

[1] علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، المرجع السابق، ص42.
[2] زيادة معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، ج 2، 1988، ص266.
[3] علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، المرجع السابق، ص42.
[4] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة ديوي نموذجا، المرجع السابق، ص16.

البراغماتية، وعرفت بشكل واسع لدى الفيلسوف "جيمس" وخاصة جون ديوي هدفهم هون ربط الفكر والعمل معا، وفي ذلك يقول "**جون تشايلدز**" « الحركة التي تعرف في الفلسفة باسم "البراغماتية" و"الأداتية" و"التجريبية" هي في الواقع تعبير عن الثقافة الأمريكية وأبرز ملامحها صفتها التجريبية، فهي تقبل الخبرة الإنسانية العادية منبعا نهائيا وامتحانا أخيرا لكل معرفة وقيمة ».[1]

معنى ذلك أن البراغماتية في حقيقة الأمر لها ملامحها التجريبية من منبع الثقافة الأمريكية لأن البراغماتية تدعم فكرة أن الفلسفة لا ينبغي أن تكون عبارة عن نظريات مجرة بل هي أكبر من ذلك الأمر وتعد تطبيق عملي ضروري وأساسي ون « البراغماتية فلسفة تعبر عن مزاج العالم الجديد المعروف بأمريكا فهي فلسفة لا ترجع في تاريخها إلى أكثر من قرن في الزمان وهي ثمرة التفاعل بين الأفكار التي يحملها المهاجرون الأوروبيون إلى أمريكا وبين البيئة الجديدة التي نشأت فيها ».[2]

في هذا الأمر نجدها أخذت صيغتها الواضحة والمؤثرة بأنها من الاتجاهات الفلسفية البارزة في القرن العشرين حيث أخذها الكثير من الفلاسفة والمفكرين كأداة للتكيف مع الثقافات الأمريكية التي ترجمت كل الأفعال إلى أعمال، وعمل واقعي في حياة الفرد. وعلى هذا نجد أن « البراغماتية فلسفة علمية انبثقت من الروح المادية للقرن العشرين، وارتبطت بتطور مناهج البحث العلمية الاتجاهات الواقعية المعاصرة وهي أمريكية النشأة ورأسمالية الاتجاه ».[3]

لأن هدف نشأتها راجع إلى تلك الطرق العلمية التي تطرقت إليها لأن المنهج الفلسفي هو منهج والمنهج يتبع النتائج العلمية للأفكار أي لا تبقى مجرد فكرة وفقط، بل تطرح الأفكار في أرض الواقع وتصبح عملية، حيث نجد أن كلمة البراغماتية تعد من خلال تلك المناقشات التي كانت تدور مع بعض أعضاء (النادي الميتافيزيقي) وكان بيرس وجيمس ضمن هذه المجموعة حيث يقول: « إن جيمس ورايت كانوا ممن يهتمون بالعلم ويتفحصونه أقوال الميتافيزيقا ».[4] ومن هذا القول نشأ اصطلاح البراغماتية في ذهنه وذلك راجع إلى تلك التساؤلات التي طرحها في النادي الميتافيزيقي « متى يكون للفكرة معنى؟ ومتى تكون العبارة صادقة

[1] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة ديوي نموذجا، المرجع السابق، ص35.

[2] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص102.

[3] سماح الرافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط 1، 1973، ص47.

[4] مجموعة من الأكاديميين العرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية، تقديم علي حرب، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ج1، ط1، الرياض، 2003، ص

ومتى يجوز لنا أن نتكلم عن العبارة بوصفها معبرة عن فكرة ومتى لا يجوز ».[1] ومن خلال هذه التساؤلات توصل بيرس إلى أن قيمة الفكرة تكمن في فائدتها العملية بمعنى نتائج تلك الأفكار تكون عملية ومن هنا نجد أن بيرس توصل أيضا إلى أن لفظ البراغماتية هو من أصل يوناني تدل على الفعل والعمل، وهكذا نجد أن السبب الرئيسي في انتشار البراغماتية هو تأسيس بعض الجمعيات منها جمعية فلسفة العلم، معهد علم النفس...الخ، وفي هذه الجمعيات « اتخذ أنصار البراغماتية نشاط الذين بشروا بأفكارها الأوساط العلمية وبين المثقفين ذوو الاهتمامات الفلسفية »،[2] ووجد أيضا في المجال التجريبي وأصبح لها تأثير عميق على المسار لها « وقد تطورت البراغماتية في نفس وقت نمو الفلسفة البرغسونية بالموازاة معها وقامت في تاريخ الفكر الغربي بنفس الدور الذي قامت به تلك الفلسفة ». [3]

ومن هذا المنبر نستنتج أن بيرس هو من وضع كلمة البراغماتية على أنها اسم لقاعدة خاصة لتوضح معاني الكلمات والذي يعد اسما لأي موقف يؤكد أهمية النتائج، ونجد كذلك أن بيرس سماها بالقاعدة لأنه اعتبرها هي خطوة أولى أو القاعدة التي وضعها في بحثه، كيف نجعل أفكارنا واضحة « إننا لا نعرف على وجه التحقيق ما هي الكهرباء في ذاتها، أي أن فكرتنا على الكهرباء غامضة ما هي الكهرباء يزول إذا وجهنا نظرنا إلى ما تؤديه لنا الكهرباء أو إلى ما تحققه من أغراض عملية... إليهم معنى الكهرباء يتردد بالنفس إلى آثارها التي نلمسها في تجربتنا اليومية والأمر على هذا النحو فيما يتعلق بمعظم الأفكار».[4]

وفي الأخير نستنتج أن ما يميز المنهج البراغماتي ويجعله جوهر الفلسفة وقاعدتها أن الأفكار أو الفكرة يجب عليها أن تكون مرتبطة بنتائجها العملية لكي نجد حل للمشكلات وهذا هو ما يميز البراغماتية عن غيرها.

---

[1] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص98.

[2] يوري كوز لوفسكي، الفلسفة اليابانية المعاصرة، تر: خلف محمد الجراد، المؤسسة الجامعية، ط 1، بيروت، 1995، ص125.

[3] إ. م بوشنيسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص158.

[4] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص18.

المبحث الثالث: مبادئ الفلسفة البراغماتية.

تعد البراغماتية فلسفة مادية تنتمي إلى ما يسمى بالاتجاه التجريبي، حيث تعتبر نفسها اتجاها تجريبيا متطرفا إلى حد تعبير "جيمس" الذي يؤكد « أن البراغماتية تمثل اتجاها مألوفا تماما من الفلسفة وهو الاتجاه التجريبي ولكنها تمثله في شكل أكثر تطرفا »،[1] إلا أنها لا تعبر عن ذلك الاتجاه التجريبي بالمفهوم التقليدي للتجربة، من حيث ربطها بين نتائج التجربة وما يترتب عليها بالمنفعة الذاتية لها حيث نجد قول جيمس في ما يلي: « إن البراغماتية عند معالجتها لبعض الإشكاليات بدلا من أن تعالجها بالتأمل المعجب يقفز إلى الأمام في نهر الخبرة إذ يعيش فيها كما تعيش الأسماك في الماء ».[2]

ومن هذا المنبر نجد أن هناك العديد من مبادئ الفلسفة البراغماتية وذلك بالرجوع إلى العديد من المؤلفات عند إعدادنا لهذا البحث، ومن أبرزها كما يلي:

1. القول بالنسبية وإنكار كل الحقائق المطلقة والقيم الثابتة حيث ترفض الفلسفة البراغماتية كل الأشكال المطلقة والثابتة، لأن كل ما يميز البراغماتية هو رفض كل المقولات المطلقة والثابتة إلا إذا كانت مرتبطة بالتجربة التي تعطي لها فائدة للفرد. حيث يرى "**بيرس**" أن « الطرائق الميتافيزيقية في الاستنباط تصطنع على أساس فروض من عندهم ويصلون به إلى براهين يصفونها بالصواب الذي لا يتعرض للتعديل، على ضوء ما قد تكشف عنه البحوث العلمية ».[3]

يقول "**جيمس**" أن البراغماتية هي « الاتجاه الذي يصرف النظر عن الأمور الأولى والمبادئ والمقولات والحتميات والضرورات المفروضة لكي يتجه ببصره نحو الأمور النهائية والآثار والثمرات والنتائج والوقائع».[4]

إذا البراغماتية نجدها تنظر من الوهلة الأولى إلى ما يسمى بالمبادئ والمقولات... ثم بعد ذلك تتجه إلى الأمور الأخيرة من النتائج وغيرها، لأن البراغماتية لا تؤمن بالحقائق المطلقة والثابتة إلا إذا ألقينا عليها التجربة وتحصلنا على نتيجة واحدة فائدة للفرد والمجتمع.

---

[1] الكحلان، حسن محمد، الفلسفة التقديمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص151.

[2] المرجع نفسه، ص151.

[3] زكي محمود نجيب، من زاوية فلسفية، دار الشروق، ط 4، بيروت، ص254.

[4] وليام جيمس، البراغماتية، تر: محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، ص71.

2. البراغماتية ذات نزعة فردية، لأنها « اهتمت بالإنسان الفرد ووضعته في الاعتبار الأول وذلك لأن الفرد حامل الفكر المبدع، وصانع العمل وصاحب تطبيقه ».[1]
3. تعتبر الفلسفة البراغماتية هي فلسفة عملية لأنها تعتمد على التجربة، لأن التجربة بالنسبة لها هي مصدر المعرفة الصحيحة ولأن التجربة هي محرك لتوليد الأفكار وقبولها، حيث يقول "**بيرس**" « فالفرضية يجب أن تكون قابلة للاختيار بواسطة التجربة بقدر ما هي قابلة للعمل »[2]، ويضيف أيضا: « لكي تتأكد من معنى أي مفهوم عقلي يجب أن نأخذ بعين الاعتبار النتائج العلمية التي يمكن أن تتحصل عليها بالضرورة من ذلك المفهوم ».[3]
4. تنظر وتعتبر الفلسفة البراغماتية إلى المنفعة على أنها هي المعيار الصادق لكل الأفكار والقيم الواردة عن كل شيء، وهي بالنسبة للبراجماتية كما يقول **جيمس**: « فعلا إن صدق الفكرة يقاس بمدى ما تحققه من قيم فورية منصرفة... فصد جيمس من ذلك التأكيد على الدور الذي ينبغي أن تلعبه الأفكار والمعتقدات في حياتنا العملية لأن هذه النظريات وهذه الأفكار هي أدوات تساعدنا للوصول والتقرب إلى الأمام ».[4]
5. الفلسفة البراغماتية تمحي وتقاطع الماضي وتركز فقط على المستقبل ولا تبدأ من الماضي بل من المستقبل ولا يهمها كيف مثلا نشأت الأفكار والمعرفة بل يهمها فقط تلك النتائج التي تصل إليها عن طريق فكرة أو معرفة ما. حيث يقول "**جيمس**": « لنا الآن أن نقرر بثقة ويقين أن الرغبة في تحديد المستقبل وفي تعيينه تكون عنصرا مهما من عناصر الميول الفلسفية وأن كل فلسفة تتجاهل إشباع تلك الرغبة ولا تعمل على ذلك لا يمكن أن تحوز قبولا عاما ».[5]

[1] فرحان محمد جلوب، دراسات في فلسفة التربية، مطبعة التعليم العالي بجامعة الموصل، العراق، ص113.
[2] علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، المرجع السابق، ص21.
[3] عبد الحفيظ محمد، الفلسفة والنزعة الإنسانية، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية، ص82.
[4] النشار مصطفى، مدخل جديد إلى الفلسفة، دار قباء، القاهرة، ص122.
[5] وليام جيمس، إرادة الاعتقاد، تر: محمد حب الله، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص52.

الفصل الثاني:
السيرة الذاتية لجون ديوي وأهم أفكاره

الفصل الثاني: السيرة الذاتية لجون ديوي وأهم أفكاره.

المبحث الأول: حياته ومؤلفاته.

المبحث الثاني: المرجعية الفلسفية لفكر جون ديوي.

المبحث الثالث: الفلسفة الأداتية.

تمهيد:

يعد "جون ديوي" "John Dewey" من أبرز أهم الفلاسفة المؤسسين للفكر البراغماتي الأمريكي الذي كان في المنتصف الأول من القرن العشرين، حيث حاول القيام بالإصلاح في مختلف المجالات منها فكرية، اجتماعية، تربوية، ثقافية وحتى سياسية...الخ، حيث رافق في ذلك استقراره الفكري والفلسفي للتوجه إلى البراغماتية بعد عدة مراحل مختلفة، حيث يصل بعد ذلك إلى أن البراغماتية هي مذهب هام ذات منهج أداتي متميز، ومن هذا المنبر قام ببناء أفكاره التربوية وغيرها من مناهجه الإصلاحية عليها، وفي الأخير كان هدف"جون ديوي" من كل هذا الأمر والعمل هو إصلاح المجتمع وجعله مثقفا وواعيا، **فمن هو جون ديوي؟ وما هي أهم مؤلفاته؟ وفيما تتمثل مرجعيته الفلسفية؟ وما هي فلسفته الأداتية؟**

المبحث الأول: حياة جون ديوي ومؤلفاته.

حياته:

ولد جون ديوي 20 أكتوبر 1859م في مدينة برلنجون **Berlengton** من ولاية فرمونت **Verment** الواقعة شمال الولايات المتحدة الأمريكية على مقربة من حدود كندا.[1]

حيث كان جون ديوي من أبرز الفلاسفة مؤسسي الفكر البراغماتي الأمريكي، إلى جانب تشارلز ساندرز بيرس، ووليام جيمس، ويمكن القول بأنه من أبرز المفكرين الأمريكيين في النصف الأول من القرن العشرين، حيث كان جون ديوي من أهم الفلاسفة الذين قاموا بتطوير الفلسفة البراغماتية « جون ديوي أبرز مثال على صحة هذه النظرية، فقد اجتمعت له من ميزات الأبوي والإقليمي الذي نشأ والتربية التي تلقاها في حداثته والإقليم الذي نشأ والعصر الذي ولد فيه وترعرع في أحضانه والنزعات الفلسفية والاتجاهات العلمية التي أخذت تقوى ».[2]

أما بالنسبة إلى والده ووالدته كان والده « "أرخيبالد" مزارع قليل الثقافة ولم يحصل على تعليم منظم فشب ناقص التعليم، ولكن ممارسته للزراعة جعلته يكسب أولاده ثقافة الاعتماد على النفس، أما والدة جون ديوي "لوسينا أرتميسيارتش" فقد كانت أعرق نسبا وأغزر علما وأرهف ذوقا »[3]، كانت هذه أهم مواصفات والدي جون ديوي الذين عملوا على تربيته واعتماده على نفسه في كل الحالات سواء كانت من الناحية الثقافية أو الاجتماعية أو التربوية وغيرها.

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص15.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي ونظرتهما للطبيعة الإنسانية النفسية العربية، منشورات شبكة العلوم، العدد 2، 2019، ص36.

دراسته:

دخل جون ديوي المدرسة الابتدائية وكان منطويا على نفسه خجولا قليل الاختلاط بزملائه ومدرسيه، أكمل دراسته الثانوية سنة 1870م ودخل جامعة "فرمونت" سنة 1952، وعلى الرغم من اهتمامه بالفلسفة أثناء دراسته في تلك الجامعة فإنه كان مترددا غير مستقر الاتجاه في الدراسة.[1]

وفي الجامعة درس ديوي اللغة اليونانية واللغة اللاتينية وكذا الرياضيات والعلوم الطبيعية وعلم النفس، كما قرأ فلسفة أفلاطون وافتتن بها فكتب يقول: « إن قراءتي المحببة هي محاورة أفلاطون وأن الفلسفة الحقة هي في الرجوع إليه ».[2]

نجد أن جون ديوي كان من محبي الفلسفة وخاصة فلسفة أفلاطون عالم المثل المعروف به ونجده يتلذذ في قراءة محاورات أفلاطون مع الفلاسفة.

ومن كثرة ثقافته بمختلف العلوم وخاصة تفوقه في مادة الفلسفة تخرج بأعلى الدرجات في جامعته، وبعد تخرجه أنفق ثلاثة أعوام في التدريس بالمدارس الثانوية وأفادته هذه الممارسات للتدريس في تكوين نظرياته التربوية فيما بعد وتطويرها، حيث نجده في عام 1879م نشر أول بحث له عن الفلسفة في إحدى المجلات العلمية، وقوبل هذا البحث بالثناء مما شجعه على مواصلة مشواره في الفلسفة هذا من شدة هلوسته بها لأنه يحبها، ثم التحق بالدراسات العليا بجامعة "جونز هوبكنز" حيث تعلم على يد "جورج سيلفستر موريس" وعنوان رسالته كان **"علم النفس عند كانط".**[3]

من هذا المنبر نجد أن أول بحث قام به جون ديوي هو في مجال علم النفس والفلسفة خاصة، ولإنشاء هذا العمل كان "جورج" هو الذي يقوم بتدريسه حيث درسه كل من كانط وكذلك هيجل كل ما يتعلق بفكرهما، ومن هذا المنبر قام بإنجاز عمله "علم النفس عند كانط".

---

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة الحديثة: جون ديوي، المؤسسة العربية للدراسات، ج 2، ط 2، بيروت، 1984، ص499.

[2] محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 4، 1986، ص379، 380.

[3] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 2010، ص505.

وبعدها قام جون ديوي "John Dewey" بعد تخرجه من الجامعة وحصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة **جونز هوبكنز** عمل مع **موريس** في جامعة متشجن في سنة 1884م حيث بقي فيها طوال عشر سنوات، وفي أثناء تدريسه تغيرت نظرته الفلسفية واتجه بالفلسفة اتجاها عمليا وقد قام بنشر عدة مؤلفات في علم النفس.[1]

وفي سنة 1894م عين أستاذا ورئيسا لقسم الفلسفة في جامعة شيكاغو وهنا أنشأ ما يعرف باسم **"معمل ديوي"** للقيام بتجارب في علم النفس والتربية لتحقيق فروضه.[2]

وقد أثمرت إقامته واشتغاله في "شيكاغو" وكذلك رئاسته لقسم الفلسفة كانت جيدة جدا وذلك راجع إلى ثقافته المتعددة في مختلف العلوم لأن جامعته التي درس فيها هي ثمارا فلسفيا وتربويا وكذلك قام بتنمية مذهبه في مجال الأخلاق وعلم النفس والمنطق، ثم تفرغ لتدريس الطلبة الدراسات العليا. لأنه « بنزعته العلمية القائمة على البحث والتجريب والاختبار والتطبيق، واستخدام نتائج العلم للتطوير والتغيير ».[3]

وفي عام 1904م حدث ما لم يكن في الحسبان، ففي الوقت الذي تألقت فيه مدرسته **"شيكاغو"** نرى جون ديوي يختلف مع مدير الجامعة حول إدارة المدرسة التجريبية، ولم يقبل جون ديوي الوضع فقدم استقالته التي قبلها مدير الجامعة،[4] وبعدها انتقل إلى جامعة **كولومبيا** وظل فيها حتى أحيل إلى التقاعد سنة 1931م توفي عام 1952م.[5]

حيث نجد أن عمله لم يبق محصورا في المجالات التي ذكرناها سابقا منها علم النفس، الفلسفة، والتربية بل تجاوزها إلى المجال السياسي حتى، فقد كان من أحد المؤمنين بالديمقراطية ودافع عنها أروع دفاع، كما أرسى قواعدها على أسس فلسفية وربطها بالتربية حتى ينشأ الطفل منذ صغره على حب الديمقراطية ومحبة الحرية.[6]

---

[1] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص116.

[2] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة الحديثة، ج 2، المرجع السابق، ص ص 499، 500.

[3] المرجع نفسه، ص502.

[4] محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية للتربية، ص383.

[5] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة الحديثة، ج 2، المرجع السابق، ص500.

[6] محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية للتربية، ص383.

وهذا كله راجع إلى أن "ديوي" هو رجل عملي في جميع المجالات خاصة علم النفس والفلسفة التأملية، وهذا جعله يؤلف العديد من الكتب في شتى المجالات التربوية والعلمية وحتى السياسية، الفن والجمال حيث كانت أغلب كتاباته في المجال التربوي محاولا من هذا المنبر إنشاء وبناء مجتمع مثقف تربويا.

حيث نجد أن لجون ديوي العديد من الزيارات إلى العديد من الدول، ففي عام 1904م قام برحلة إلى أوروبا، إنجلترا وإيطاليا وفي عام 1919م قام برحلة إلى اليابان والصين، كما ألقى محاضرات "بطوكيو" و"الصين"، كما قام بذبك برحلة أخيرة إلى روسيا.[1]

مؤلفاته:

كان "لجون ديوي" "John Dewey" العديد من المؤلفات في العديد من المجالات، فكتب في الميتافيزيقا وفلسفة العلوم، المنطق، علم النفس، علم الجمال والدين وغيرها من تآليف نذكرها:

- سنة 1882م: نشر أول مقالة له تحت عنوان "الدعاوي الميتافيزيقية للمذهب المادي" في المجلة النظرية. « The metaphisicale assumptions of materialism ».
- 1887: علم النفس. Psycology.
- 1894: The study of ethics.
- 1897: عقيدتي التربوية. My pedagogic.
- 1889: علم النفس، والمنهج الفلسفي. Psycology and philosophie.
- 1900: المدرسة والمجتمع. The school and the society.
- 1902: الطفل والمنهج الدراسي. The child and the currialum.
- 1903: دراسات في النظرية المنطقية. Studies in logical theary.
- 1980: الأخلاق. Ethics.
- 1910: كيف نفكر؟ how we think.
- أثر داروين في الفلسفة. The influmene of Daruin on philosophy.
- 1915: الفلسفة الألمانية والسياسة. German philosophy and politics.
- مدارس الغد (مع ابنه ايفلين ديوي). School of tomorow.

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص18.

- 1916: الديمقراطية والتربية. Democracy and education.
- مقالات في المنطق التجريبي.
- طبعة ثانية معدلة لكتاب دراسات في النظرية التطبيقية. Essays in expermental logic.
- 1917: الذكاء المبدع (مع آخرين). Greative intelligence.
- 1920: تجديد في الفلسفة. Recorstruction in philosophy.
- 1922: الطبيعة البشرية والسلوك. Human nature and conduct.
- 1925: الخبرة والطبيعة: experience and nature.[1]
- 1927: الجمهورية ومشكلاتها. The public and its probleme.
- 1929: شخصيات وحوادث. Caracters and events.
- الفن والتربية. Art and education.
- 1930: الفردية قديما وحديثا. Individuality old new.
- مقال (من المذهب المطلق إلى المذهب التجريبي). From the absolut doctine to empiricism.
- عقيدتي الفلسفية. Gredo.
- 1931: الفلسفة والحضارة. Philosophy and civilisation.
- 1934: الفن كخبرة. Art as experience.
- إيمان مشترك. Acommon gaith.
- 1935: التحرير والحركة الاجتماعية. Liberalisme and social action.
- 1937: الخبرة والتربية. Experience and education.
- المنطق ونظرية البحث. Logic and theory of inquiry.
- 1939: الحرية والثقافة. Freedom and culture.
- نظرية القيمة. Theary of valution.
- 1940: التربية في العصر الحاضر. Education to day.
- 1946: مشكلات الناس (نشر في ط 2 سنة 1956 بعنوان فلسفة التربية). Probleme of men.
- 1949: المعرفة والمعروف (مع آرثر نيلي). Knowing an the knowin.

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص17.

كان هذا الأخير أي كتاب "المعرفة والمعروف" هو آخر مقتطفاته في مجال الكتب ومؤلفاته، بعدها كانت وفاته سنة 1952م.[1]

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص18.

المبحث الثاني: المرجعية الفلسفية لفكر "جون ديوي" "John Dewey".

جون ديوي الثالث من بناة المذهب الربراغماتي في أمريكا بعد كل من بيرس وجيمس فإنه كان امتدادا لما قبله، إلا أنهتميز عنهما بفلسفته الجديدة التي سماها بالأداتية وقد حاول أن يطبق هذه الفلسفة في مجالات عديدة ولم تكن في بال وقد شابه الفيلسوف برتراند راسل، ومن أبرز الذين حملوا عوامل تطور الفلسفة في الجانب النظري والعلمي منهم جون ديوي وكانت الفلسفة البراغماتية منسجمة مع الروح الأمريكية، وقد كان لها القدرة على تشكيل الظروف وربط التفكير بالعمل واعتمادها على النتائج كمعيار تقاس به الحقيقة وكانت هي أفضل الفلسفات التي تطبق على الروح الأمريكية ولها أثر على الفكر المعاصر.

الفلسفة الأمريكية تميزت دائما بأنها فلسفة براغماتية التي رفضت الآراء الفلسفية العقلية والتجريبية التقليدية عن المعرفة باعتبارها تجربة ذهنية خالصة، فيما يتمثل بالاتجاهات العلمية « في أمريكا اتجهت الحياة الفكرية وجهة أخرى تتفق مع اتجاهات الناس في هذا العالم الجديد، وهي تلك الاتجاهات العملية التي يتميز بها بصفة خاصة رجال الأعمال الذين يهمهم في المحل الأول تحقيق النجاح في الحياة ».[1]

وقد مر الإنسان بمراحل في حياته الفكرية العامة فقد قام جون ديوي بالتطرق لكل المشاكل الاجتماعية وحلها عن طريق الأفكار والمواقف والتجارب المنهجية.

إن جون ديوي "John Dewey" أسس فلسفته البراغماتية القائمة بذاتها التي تهدف إلى:

- أن تصبح الفلسفة أداة فعالة تفسر الأحداث وتساعد على حل المشكلات.[2]
- تكون للفلسفة آثار علمية اجتماعية تحقق تطلعات المجتمع التي يطلبها الواقع فإنه لا توجد قيمة للفلسفة مهما كانت صحتها العقلية.[3]

إن الفلسفة عنده يعرفها على أنها رؤية تهدف إلى تحرير العقول والأهواء وتخفيف حدة التوتر في الحياة الاجتماعية السائدة، والجعل من البيئة مصدرا أداتيا لغرس المعايير الأخلاقية في النفوس البشرية.[4]

---

[1] يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص133.

[2] زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، ص64.

[3] المرجع نفسه، ص64.

[4] يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص139.

إن جون ديوي كان يطمح لبناء مجتمع ديمقراطي وفلسفة علمية لوضع توازن بين قيمة الفرد مع قيمة المجتمع والجماعة.

فجون ديوي "John Dewey" يربط بين التربية والمجتمع والحياة، كما أكد على العلاقة الوثيقة بين التقدم العلمي والنظام الديمقراطي ولقد استفادت أمريكا من أفكاره في موضوع التربية وجذب العقول واستقطاب كل علماء الأرض، فقد تطورت الحياة وأصبح المجتمع الأمريكي مجتمعا صناعيا فقد دعا إلى التربية المستمرة التي لا تقف في سن معين.

علينا أن نفرق في فلسفته ثلاثة محاور أساسية في الفلسفة الأداتية: وهي الترابط العضوي والتطور والتجريبية « فالأول كان راسخا في نفسه بتأثير دراسته الأولى لهيجل من ناحية ولنظريات هكسلي البيولوجية من ناحية أخرى، وظل ديوي عل اعتقاد طيلة حياته بالتفاعل العضوي والتماسك الوثيق بين الأشياء وهذا ما دفعه إلى معارضة كل ثنائية في الفلسفة بين المادة والعقل بين التجربة والضرورة وبين الواقع والقيمة ».[1]

هذا المحور الأول الذي تأثر بهيجل وهكسلي وأما المحور الثاني وهو التطور تأثر بداروين واتضح هذا التأثير في نظرياته التربوية والاجتماعية والسياسية، أما المحور الثالث التجريبية كان تراثا مشتركا في الفلسفة الأنجلو سكسونية بوجه عام وفي الفلسفة البراغماتية بوجه خاص.[2]

فإن هدف جون ديوي هو تغيير القيم في المجتمعات الإنسانية وقد سمى مذهبه بالأداتي لأنه يتخذ من الفكر أداة للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه فقد كان ديوي يؤمن بان كل شيء في حياة الإنسان قابل للتغيير إن دعت الضرورة إلى تغييره ولا يجوز أن يقف شيء حائلا في وجه الإصلاح.

وإن الأداتية تغيير سيكولوجي لأنه من طبيعة بيولوجية ومتصل بمذهب واطسن في السلوكية فإن المخ عضو ينسق المؤشرات الحسية لإحداث استجابات.[3] يعني أن هناك أثر سيكولوجي لأداتية جون ديوي وكان هذا التأثير واضح فقد كان الأداتيون يقرون بأن « اتخاذ مبادئ المنطق المعيارية مع عمليات التفكير الحقيقية

[1] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص117.

[2] المرجع نفسه، ص117.

[3] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص91.

القائمة على علم نفس بيولوجي لا علم نفس تأصيلي لحالات الشعور مما جعل ديوي يؤمن بأن العقل هو المصدر الوحيد لكل سلوك ناجح لأنه يجمع بين السلوك البيولوجي والتأصيل المنطقي ».[1]

فإن الأداتية تجعل للتفكير وظيفة وضعية وهي إعادة تكوين الحالة الراهنة للأشياء لا مجرد معرفتها أو اتخاذ نسخة منها وكذلك وظيفة العقل ليست مجرد نسخ الأشياء الموجودة في البيئة بل أن أطلع إلى الأشياء في المستقبل.

فيتبين لنا أن مذهب ديوي الفلسفي كان مجموعة من النظريات العلمية والفلسفية التي قام به للدفاع عنها ومحاولة تغييرها إلى الأحسن في صلاح المجتمع هو الهدف الرئيسي، فيرى أن كتاب "أصل الأنواع" لداروين « يمهد هذا الطريق لإعادة بناء الفلسفة حين يدفعنا إلى أن ننظر لأنفسنا بوصفنا مخلوقات ينبغي أن يتكيف بعضها مع البعض ومع ظروف البيئة من أجل البقاء».[2]

وهذا التركيز على التكيف يتطلب في مجال الفلسفة انصرافا عن المذهب إلى المنهج وعزوف عن النتائج المحددة إلى عملية البحث نفسها.[3]

وهكذا كان لديوي إيمانا كبيرا بأن كل الأشياء قابلة للتغيير في حياتنا.

فقد انتهى ديوي إلى فلسفة خاصة به حيث اشترك في أصولها مع بيرس وجيمس من خلال المدارس العلمية والفلسفية التي تأثر بها، فإن الفلسفة حسب ديوي تهدف إلى تغيير الواقع تغييرا فكريا وعلميا يتناسب مع التقدم العلمي والصناعي، فديوي فيلسوف أمريكي براغماتي نظرا لما تحتوي نظريته من افكار أدت إلى تطور البراغماتية وامتدادها.

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص92.

[2] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص119.

[3] المرجع نفسه، ص119.

المبحث الثالث: الفلسفة الأداتية لجون ديوي "John Dewey"

أولا يجب تحديد مفهوم الأداتية كمصطلح حيث نجدها قد نشأت بذورها عند وليم جيمس وهو أول من نبه على فضل ديوي ومدرسة "شيكاغو" في محاضراته التي نشرت في كتاب **(البراجماتزم)**، « وقال إن اتجاهها يمثل النظرة الأداتية عن الحق تلك النظرة التي تعلم بنجاح في "شيكاغو" حيث كان "جيمس" يعد التصورات والنظريات مجرد أدوات يمكن أن تصلح من تكوين حقائق مستقلة بطريقة خاصة وقصر نظرته على المظاهر الأخلاقية لهذه النظرية التي كانت تؤكد على مذهب التفاؤل الأخلاقي، أما جون ديوي كانت بداياته الأداتية، فهي محاولة لوضع نظرية منطقية دقيقة عن التصورات والحطام والاستدلالات في شتى صورها ».[1]

هنا حاول جون ديوي دفع كل من التصورات والنظريات إلى الخارج لكي يصل بمنهجه الأداتي إلى حقائق منطقية دقيقة ثابتة على غرار وليم جيمس الذي بدأ من تصوراته ونسي القضايا الأخلاقية.

ومن هذا يمكننا الرجوع إلى المعاجم من أجل تحديد وضبط مفهوم الأداتية كمفهوم فلسفي، نجد في معجم '**Lallande**' **"لالاند"** هي: « لون من ألوان الذريعة: مذهب "جون ديوي" "John Dewey" المتميز من وجه آخر بالقول إن كل نظرية هي آلة '**Tool**' أداة للعمل والتطور ».[2]

وكما نجدها في معجم آخر ما يسمى إبراهيم مذكور هي: « ضرب البراغماتية قال به "ديوي" هي أن المعرفة ؟أداة للعمل ووسيلة للتجربة ».[3]

ومن هنا فإن الأداتية ككلمة '**instrumentalism**' في معجم دليل **أكسفورد** للفلسفة هي مذهب يقر أن النظريات العلمية وصف صادق لواقع غير ملاحظ، بل مجرد أدوات مفيدة تمكن من ترتيب وتوقع العالم الملاحظ.

تأثرت الصيغ التقليدية من الأداتية بالنظريات التحيققية في المعنى فأقرت أن المزاعم النظرية حول ما يلاحظ لا تحتاز حقيقة على معنى وثمة صيغ أحداث للأداتية ولكن إلى حجج ارتيابية عوضا عن الحجج الدلالية

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص100.

[2] اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط 2، مجلد 1، 2001، ص ص681، 682.

[3] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص05.

لأنها تمسح بأن يصدر العلماء أحكاما تحتاز على معنى حول العالم غير الملحوظ... أما فيما يخص الأداتية القيمة: يحتاز الشيء عن قيمة أداتية بقدر فعاليته (اتفاقا أو قصدا) في تحقيق قصد مرغوب فيه أو بقدر حظوته بالتبجيل.[1]

أما في معجم "مراد وهبة" نجدها قد اصطدمت بالبراغماتية فصنعت من المعرفة آلة ووظيفة في تلبية مطالب الحياة المعاشة حيث يقر "ديوي" بأن المعرفة العقلية هي بمثابة آلة وآلة وظيفتهاهي ضبط معلومة وعندما يكون هناك خلل في شيء ما.[2]

لقد ثار جدل قديم منذ أرسطو حول المنطق هل هو صورة فكر أو هو آلة **Organon** حيث نجد أن لفظة الأورجانون هي كلمة يونانية أي من العصر اليوناني كالذي يؤدي وظيفته مثلا كالعين وظيفتها البصر، الأنف وظيفته الشم وعندما نقل العرب هذا المصطلح فيما يخص بالمنطق قالوا إنه آلة وعرفوا الآلة على أنها تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ بمعنى لا تترك الذهن يقع في غلط وتجعله دائما على صواب « وعندما وضع ديوي منهجه الأداتي '**instrumental**' كان في ذهنه أن يرجع إلى مذهب أرسطو ويتخذ المنطق أداة للتفكير على غرار ما فعل كانط وأتباعه الذين جعلوا المنطق صوريا. وأن في العقل صورا أولية للتفكير وان التفكير أداة لبلوغ الحق ».[3] وكان قد استلزم أن يكون هناك منهج جديد لاستخدامه في العلوم الحديثة يختلف عن المنهج القديم أي أداة أخرى فقام 'ديوي' بتسميته الأداة فالأفكار والقوانين لا تعكس يد حقيقة موضوعية بل هي أداة أو وسيلة لتسهيل المنفعة.

إن جون ديوي "John Dewey" يرى بأن هناك نقص في الفلسفات القديمة لأنهم كانوا يفصلون كل من التفكير وخبرة الإنسان وهنا يراه "جون ديوي" خطأ لأن كل إنسان لابد أن تكون هناك خبرة قبلية يعتمد عليها لأن الإنسان بطبيعته باحث وكل ما يبدأ بحثه بمشكلة لا ينتهي بالنتيجة حتى يواجه الكثير من المشاكل ومشكلات أخرى « والأداة التي يستعملها الإنسان بالطبع في أثناء هذا البحث هو التفكير، وهو في هذا التفكير ينتقل من خبرة إلى أخرى انتقالا متصلا لا انقطاع فيه لا نزاع أن هذا الانتقال يستغرق زمانا، كما يتشكل التفكير بمقتضى السياق على مجرى الحياة ».[4]

---

[1] تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث، ج 1، ليبيا، ص ص37، 38.

[2] مراد وهبة، المعجم الفلسفين المرجع السابق، ص36.

[3] جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص100.

[4] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص100.

معنى هذا القول أن كل من التفكير والخبرة هم عاملان أساسيان أثناء عملية البحث.

لفهم الأداتية فهما جيدا يجب علينا فهم طبيعة التفكير ولهذا قام "جون ديوي" بتسمية مذهبه نسبة إل العمليات التجريبية التي نقوم بها في بحثنا « مثل التجريبية نسبة إلى الخبرة والسياقة نسبة إلى السياق، ومذهب العمليات العقلية نسبة إلى اتصال عمليات التفكير داخل الخبرة، وهذه كلها أدوات للبحث والسلوك في الحياة وثم يسمى مذهبه بالأداتية ».[1]

ومن هنا نجد أن الأفكار مهمة كثيرا يجب دراستها قبل عملية ابحث لأنها تساعدنا إلى أن نفعل شيئا على وجه أفضل ونعرفها بطريقة صحيحة ويقينية.

يؤكد "جون ديوي" "John Dewey" أن الأفكار ليست حقيقية إلا إذا كانت أدواتها نستعملها في حل مشاكله ولأن الأفكار ليست تلك كل من اهتمامات وإدراكات شاحبة وضعيفة ومن هذا نجد أن الأفكار في الحقيقة هي استجابة للمواقف الناشئة عن مشاكل، وأدوات ناجحة في علاجها ومن هنا تجعل الأداتية للتفكير وظيفة ودور وهي إعادة تكوين الأشياء من جديد ليس فقط معرفتها من بعيد.[2]

نجد أن جون ديوي استخدم مصطلح الأداتية للدلالة على ما يسميه المنطقية البراغماتية، هنا يحاول أن يضع نظرية منطقية دقيقة لكل القواعد العامة للتصور والاستدلال حيث نجد أن « وظيفة التفكير التأهيلي أن يعدل الموقف الذي يصطبغ بالغموض والشك والصراع والاضطراب وإلى موقف واضح متماسك مستقر منسجم».[3]

إن كل تنظيم في التفكير هو طبيعي لأن كل فكرة حقة هي التي ترشدنا وأن مذهب جون ديوي هو مذهب أداتي يضرب من البراغماتية حيث نجده قد دعا إلى أن تكون المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة المطالب العامة.

اختلفت أداتية جون ديوي عن الكثير وذلك راجع إلى اهتماماتها بالفعل من خلالا الارتباط بعقل الإنسان وبيئته حيث قال: « إذا كان لكل أمة فلسفتها فإن على الفلسفة الأمريكية أيضا أن تفي الحاجات الخاصة

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص102.

[2] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 1، ط 1، بيروت، 1984، ص500.

[3] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص105.

لأمريكا والمبدأ الكامن في نجاح العقل فيها ».[1] لأن العقل هو مجرد أداة للتكفل بخدمة ما لأن لكل موضوع بداية تصورية داروينية ومن هذا اتخذ العقل أسلوبا أداتيا في التفكير والتعامل مع البيئة المعاشة فيها.

استخدمت الأداتية الكثير من الوسائل لحل المشاكل والقضايا السياسية ونفي كل نظرية تعيب وتحرم على الناس التطلع على المستقبل والنظر فيه، فالأداتية تذهب إلى التقدم في الطرق الاجتماعية والسياسية وذلك بحل جميع القضايا سواء اجتماعية أو سياسية أو غيرها « ولفهم الكثير عن الفكر ينبغي أن نلاحظه وهو ينشأ في مواقف خاصة وهو يبدأ في مواجهة الكائن الحي للمشاكل والمصاعب التي تصادفه فيأخذ في تكوين افتراضات يسترشد بها وبعدئذ يخضع هذه الافتراضات إلى الملاحظة والتجربة ».[2] فالمجتمع هو من إنتاج الفرد الذي يعيش بعاداته وتقاليده وأعرافه.

إن فلسفة جون ديوي "John Dewey" الأداتية تدعو إلى العمل واستخدام الطريقة التجريبية للعلوم لأن المعرفة طريق واضح وهو يتضمن القوانين التي تخص العقل ووظيفته التي تتمثل في خدمة الحياة التي نعيشها والتخطيط لها مستقبلا « وهو التوجه البصير الذي يحيط بالشروط علما ويلاحظ علاقات النتائج ويضع في ضوء هذه المعرفة الخطط ويقوم بتنفيذها ».[3]

وعلى هذا النحو نجد أن الحياة الاجتماعية لها مؤثرات وأحداث ينبغي أن لا يكون أي مؤثر من هذا لكي لا تتحدد الحياة الاجتماعية ككل، وإنما يسود نوع من المساواة بين الجوانب المختلفة في حياة الفرد كالفن والتربية والأخلاق خاصة...الخ، حيث أن جون ديوي ينصحنا بأن نحل كل من المشاكل سواء اجتماعية أو سياسية أو غيرها عن طريق التجربة والاستعانة بها كذلك في البحث عن المعرفة اليقينية وهي كذلك تقوم بتحسين المواقف الاجتماعية لأن إدراكنا للأشياء ليس إدراك مجرد وإنما هو إدراك يدل على شيء أو زمن أو معنى.

[1] دايلو ادال جيرار، الفلسفة الأمريكية، تر: الشعراوي إلهام، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، 2009، ص12.

[2] ول ديوارانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، ط 1، بيروت، 2004، ص383.

[3] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة: جون ديوي نموذجا، المرجع السابق، ص81.

الفصل الثالث:
مجالات تطبيق الفلسفة البراغماتية

الفصل الثالث: مجالات تطبيق الفلسفة البراغماتية.

المبحث الأول: في المجال التربوي.

المبحث الثاني: في المجال الخلاقي والديني.

المبحث الثالث: في المجال المعرفي والمنطقي.

المبحث الرابع: نقد وتقييم.

تمهيد:

انطلق الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" "John Dewey" من الواقع الأمريكي محاولا الإصلاح في مختلف المجالات، ومنها إصلاح المجتمع وبنايته البشرية لضمان استمرارية وتطور أفراده، كما يستخدم المنطق في محاولة لتبرير نمط الحياة الأمريكية، ورافق ذلك استقراره الفكري والفلسفي إلى البراغماتية كمذهل عام والأداتية كتوجه متميز، الذي بنى عليه أفكاره، حيث يرى في الحياة الاجتماعية جملة من الأحداث والمؤثرات الاجتماعية، إذ يضع المساواة بين جوانب فلسفته التربوية والأخلاقية والمعرفية، وتتماشى تماما مع الحياة الاجتماعية. إذن **فيما يتمثل الجانب أو المجال التربوي في تطبيق فلسفة "ديوي"؟ وما هي أهم القيم الأخلاقية التي طبقت في فلسفته؟ وكيف طبق "ديوي" المجال المعرفي والمنطقي داخل المجتمع الذي يعيش فيه؟ وما هي أهم الانتقادات التي وجهت إلى فلسفة "ديوي"؟**

المبحث الأول: في المجال التربوي.

يعد المجال التربوي من أكبر واهم المشاريع الحضارية والاجتماعية، باعتبار التربية إحدى العوامل التي تلامس جوهر الطبيعة البشرية، حيث تسعى جاهدة لتشكيل هذه الطبيعة وتنميتها، وتوجيهها في الاتجاه السليم لتمس جوانبها المختلفة، فنجد الدراسات التربوية فقد حظيت فلسفة ديوي بدراسات مختلفة قام بها العديد من الباحثين سواء جانبها الفلسفي المعرفي، أو في أبعادها التربوية والاجتماعية والسياسية، حيث نجد هذا المجال اهتم به جون ديوي في تطبيقه في الفلسفة البراغماتية في العديد من آرائه التربوية.

فما هو مفهوم التربية؟ وما هي مكانة الفكر التربوي عند جون ديوي؟ وفيما تتمثل القواعد الفلسفية والأسس المنطقية التي ساعدته لبناء فلسفته التربوية؟

أولا: تعريف التربية.

أ. لغة:

« التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، تقول: ربيت الولد، إذا قويت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه، حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة ».[1]

وتشير أغلب المعاجم العربية الأخرى إلى معان متقاربة، فنجد مدلول التربية من « الفعل "ربا، يربو" بمعنى زاد ونما، وورد في معجم لسان العرب ربا الشيء يربو ربوا ورباء زاد ونما وأربيته نميته ».[2]

وقال « الأصمعي: ربوت في بني فلان، أربو: نشأت فيهم، وربيت فلانا أربيته تربية وتربيته وربيته بمعنى واحد ».[3]

ولقد ورد كذلك في القرآن الكريم لمفهوم التربية في قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾.[4]

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مصدر السابق، ص266.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مجلد 3، مجلد 3، القاهرة، ص1572.

[3] المرجع نفسه، ص1574.

[4] القرآن الكريم، سورة الروم، الآية 39.

وعليه فإن التربية من الناحية اللغوية تعني النمو والزيادة والرعاية لا تختلف عما يشير إليه معناها عند **جون ديوي** في اعتبارها أنها هي النمو والزيادة فيه.

ب. اصطلاحا:

يقدم لنا "**لالاند**" في موسوعته الفلسفية مفهوم التربية بمعنييها العام والخاص، وفي المعنى الأول: « يشير إلى أنها تقوم على تطوير وظيفة أو عدة وظائف تطويرا تدريجيا عن طريق التجربة والتدريب وتظهر من عمل الفرد ذاته، فهي بهذا عملية متجددة. أما المعنى الخاص فيتمثل في عمليات إجرائية يتم بها تدريب الأفراد عن طريق إبراز ميولاتهم وتشجيعهم على عمل عادات لمجتمعهم، كما تعني تهذيب الحواس لدى الفرد في تقبل الإدراكات الحسية الجديدة للتنظيم مع باقي الظواهر النفسية لكل فرد ».[1]

ويقصد هنا **لالاند** في تعريفه للتربية في المعنى العام بأنها عملية متجددة وذلك من خلال أنها تقوم على تطوير الوظائف تطويرا تدريجيا، وذلك عبر عدة مراحل ويقوم بها الفرد من خلال ذاته ونفسه بالعمل الذي يقوم به عن طريق التدريب والتجربة والممارسة. ونجد التربية في المعنى الخاص بأنها تقوم بعمل عادات المجتمع وذلك عن طريق العمليات الإجرائية التي يتم بها تدريب الأفراد من أجل إبراز تشجيعهم وميولاتهم، كما تعني وتقصد كذلك بتحسين الأفراد من أجل تقبل الإدراكات الحسية التي تكون جديدة، لتكون منتظمة مع الظواهر النفسية للأفراد.

« وبهذا المعنى تنطلق التربية من العام إلى الخاص أي من المجتمع إلى الفرد وتتجه نحو تهذيب الفرد وتنمية وظائفه الحسية والعقلية والنفسية، وحتى تؤدي وظيفتها على أكمل وجه وتعتمد على التمرين، فتربية الولد مثلا تتطلب ترويض ملكاته وتهذيب سلوكاته ليصبح صالحا في المجتمع ».[2]

فهي بهذا المعنى ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في تطويرها.

« وهي ليست حكرا على المؤسسات التعليمية بل تشمل جهود المربي من أعمال ومهن تمارس في الشارع وفي السجون وفي المؤسسات الاجتماعية وفي الروض وتخص الأطفال والمراهقين وكل طبقات المجتمع بما فيها ذوي الاحتياجات الخاصة كالمعوقين والمتخلفين ذهنيا ».[3]

---

[1] اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المرجع السابق، ص ص 13، 22.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص266.

[3] وائل عبد الرحمان التل، أصول التربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط 2، الأردن، 2007، ص39.

غير أن المعنى الذي قدمه "**ديوي**" للتربية كان نتيجة لتفحصه لكل المفاهيم التي عرفها هذا المصطلح وكذا أهم النظريات التي تتعلق به، ونجد التربية عند **جون ديوي** تتمثل في:

يقول **جون ديوي** "John Dewey" بخصوص التربية: « إن الحياة في أصل طبيعتها تسعى إلى دوام وجودها عن طريق التجدد المستمر، فهي إذن عملية التجدد بذاتها، فجيل يموت لقيام جيل آخر، وهذا النقل للتراث الثقافي الإنساني من جيل لآخر يظهر العملية بأجملها على أنه عملية تجدد تستطيع الحياة بواسطتها المحافظة على دوامها ».[1]

وهنا يقصد **ديوي** بأن التربية هي موروث ثقافي عبر أجيال لأنه ينتقل من جيل لآخر، وعلى أساس بأنه عملية تجدد وبهذه العملية تستطيع حياة الأفراد المحافظة على دوامها واستمرارها.

فنجد **ديوي** بخصوص التربية يقول أيضا بأنها: « هي مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، وتعني في الوقت نفسه التجدد المستمر لهذا التراث وأيضا للأفراد الذين يحملونه، فالتربية هي عملية نمو وليست لها غاية إلا المزيد من النمو، إنها الحياة نفسها بنموها وتجددها ».[2]

« فالتربية عند **ديوي** هي "الحياة" أو أنها "النمو" أو أنها التوجيه الاجتماعي ».[3]

وهنا نجد كذلك التربية عنده تتمحور حول الخبرة والتي تنتقل من جيل إلى جير بصورة مستمرة ونامية وبطريقة علمية، أي بمعنى عملية نمو وحياة وتجديد لخبرة، وفي هذا يقول: « إن التربية هي ذلك التكوين والتنظيم الجديد للخبرة ».[4]

مفهوم فلسفة التربية عند "جون ديوي":

نجد أن **ديوي** ذهب إلى أن الفلسفة ضربا، الضرب الأول متصل بالحياة والضرب الثاني منعزل عن الحياة، فنجد الأول يستمد وجوده وطبيعته ووظيفته منها، ومن ثم يحاول بعد ذلك تنظيم وتوجيه هذه الحياة

[1] جون ديوي، المدرسة والمجتمع، تر : أحمد حسن الرحيم، منشورات دار مكتبة الحياة، ط 2، 1978، ص55.
[2] المصدر نفسه، ص55.
[3] المصدر نفسه، ص13.
[4] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، القاهرة، 1956، ص70.

وهذا هو التربية، والآخر ينعزل عن الحياة فيفقد معناه ويتحول إلى قضايا ميتافيزيقية لن نصل منها إلى نتيجة.

ويبرز مفهوم فلسفة التربية عند جون ديوي "John Dewey" في أنها: « استخدام للطريقة الفلسفية في التفكير لمناقشة المسائل التربوية، حيث اعتبر الفلسفة هي النظرية العامة للتربية ».[1]

ومن جهة الأخرى النشاط المنظم الذي يتخذ من الفلسفة وسيلة لتحديد منطلقات وتوضيح الأهداف التي يود تحقيقها.

وفيلسوف التربية هو ذلك المهندس الذي يخطط ويرسم مخططاته انطلاقا من حاجات المجتمع، واختلاف الرؤى الفلسفية في نظره لا يؤدي إلى اختلاف في التطبيق التربوي، ذلك أن إدراك حلول المشكلات الواقعية يختلف من شخص لآخر.[2]

وهنا اتضح المفهوم الذي قدمه "**جون ديوي**" "John Dewey" لفلسفة التربية، يوحي لنا بعدم تفرقته ولا تمييزه بين فلسفة التربية ونظرية التربية إذ يجعلهما وجهان لعملة واحدة، وهو ما يفسر التداخل الذي وضعه **جون ديوي** بين التربية والفلسفة، وما يؤكد ذلك قوله: « التربية كالفلسفة في صعوبة عزل أي مبحث من مباحثها ابتغاء البحث والمناقشة ».[3] « فالترادف الذي وضعه بين الفلسفة والتربية مرده إلى اشتراكهما في وظيفة واحدة فكلاهما يقوم على نفس المبادئ الأخلاقية ويحمل نفس الغايات الاجتماعية هذا الذي أثر على الكثير من فلاسفة التربية إلى درجة أن تفريقهم بين فلسفة التربية ونظرية التربية يكاد يختفي، فكثيرا ما يتم استعمالهما على أنهما كلمتان تؤديان معنى واحدا ».[4]

أراد هنا **ديوي** أن يشير إلى أن تحقيق تربية سليمة للفرد يقتضي تجسيد النظرية التربوية في الواقع تلك النظرية المتمثلة في الأفكار ذات الصلة بالحقائق وكذا واقع الحياة، والتي تكون قابلة للتحقيق حتى تصبح أفكارا عملية، وإذا لم يتم ترجمة تلك النظرية في الواقع تبقى أفكارا مجردة لا طائل منها.

---

[1] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، المصدر السابق، ص336.

[2] المصدر نفسه، ص337.

[3] جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، تر: عبد الفتاح السيد هلال، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص65.

[4] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص336.

« فالنظرية في التربية ترتبط بالخبرة، ومادام لكل إنسان خبرة داخل مجتمعه فإنه ينبغي على المربي أن يكون ملما بها ».[1]

وخلاصة القول أن هدف "**ديوي**" من ربط فلسفة التربية بواقع الحياة هو أن يخرج التربية من طابعها الكلاسيكي الضيق إلى فضاء التقدم العلمي، وكذلك كان مفهومه لفلسفة التربية يؤكد بأنه واحد من المجددين البارزين في الميدان التربوي، الأمر الذي يجعلنا شغوفين بالاطلاع على أهم أفكاره التربوية الجديدة.

ثانيا: مكانة الفكر التربوي عند جون ديوي "John Dewey".

يعد ديوي من أكبر رجال التربية والتعليم في العصر المعاصر، فنجده يهتم بالمدرسة وذلك ليس فقط من الناحية النظرية بل تعداها إلى الناحية التطبيقية لذلك يدعو إلى التربية والتعليم وهذا يتجلى في كتابه المدرسة والمجتمع.

لعل أول الأمور التي اهتم بها ديوي هي ربط المدرسة بالمجتمع، وهذا ما جعله يؤكد عليها، وأكد كذاك على أن المدرسة جزء لا يتجزأ من المجتمع، ولقد نظر إلى أن دور المدرسة في المجتمع هو النظر في الثقافة بمعناها الواسع، أي بآدابها وعلومها وفنونها وعاداتها ونواحيها المادية. ويري أيضا ديوي أن عملية التربية والتعليم ليست إعداد المستقبل بل إنها عملية حياة معنى هذا الاهتمام بحاضر المتعلم، واعتبار ذلك محققا لأهداف التربية الحاضرة والمستقبلية معا.[2]

وهنا يرى ديوي أن المدرسة والمجتمع لا يمكن أن نفرق بينهما لأن المدرسة هي جزء من المجتمع وهي تخلق في المجتمع الثقافة، وذلك من الناحية الأدبية والفنية والعلمية التي تسود في المجتمع، وأن عملية التربية والتعليم ينظر إليها ديوي بأنها تتعلق بمستقبل وحاضر المتعلم وهذا من خلال أن يحقق المتعلم أهداف التربية في حياته.

[1] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص339.

[2] جون ديوي، المدرسة والمجتمع، المصدر السابق، ص17.

« كذلك اهتم ديوي بالعمل كعملية تربوية ودعا إلى ضرورة العناية بالأعمال اليدوية في المنهج المدرسي، ودعا أيضا إلى مبدأ الفاعلية في الحصول على الخبرة والتعلم، ولا يبدو الاهتمام بالنواحي العملية بالنسبة لمربي وفيلسوف براغماتي كجون ديوي بالأمر الغريب ».[1]

فالتربية العملية بمختلف أشكالها هي التي ينبغي وتكون لها الأولوية والأسبقية في المنهج مع العلم بأن هذا الرأي طبق بأشكال عدة في المدارس وقاموا بالأخذ به من الناحية التربوية والتي أخذت كذلك بتعاليم "جون ديوي".

ومن لأبرز أشكال التربية العلمية نجد أهمها:

- رفع مكانة الموضوعات العملية والنظر إليها على قدم المساواة مع الموضوعات النظرية التقليدية.
- فكرة الفعالية في التربية التي دعا إليها الفيلسوف "جون ديوي" فقد تبلورت فيما يسمى بطريقة المشروع، وخلاصة هذه الطريقة أن دراستها تكون عملية تجريبية اختبارية وليست عملية عشوائية.[2]

إن هذه الطريقة في التعليم هي الأجدر والأحسن والأدق والأفضل بالنسبة "لجون ديوي" على طريقة الحفظ والتلقين التي تكون جاهزة وسهلة المنال في المناهج الدراسية.

ربط "جون ديوي" "John Dewey" بين التربية والدمقراطية ولعل عنوان كتابه التربوي الأول "الديمقراطية والتربية" خير ممثل لنزعته هذه، والديمقراطية عنده: هي أسلوب في الحياة يعيش ويتعايش معه المجتمع وليس تطبيق سياسي فقط لمفهوم قديم يرجع عهده إلى العصر اليوناني في العصور القديمة، وهذا يعني أن المدرسة الديمقراطية يعيش فيها المتعلمون والمعلمون والعاملون الآخرون كلهم زملاء وأصدقاء متعاونين لتحقيق هدف مشترك مثل المساواة بين الأفراد، التكافل الاجتماعي والعدالة والحرية في الاعتقاد.[3]

إن الربط الذي قام به "جون ديوي" من خلال ربطه بين التربية والديمقراطية كانت له خبرة في نزعته، لأنه اعتبر الديمقراطية هي ذلك الأساس في الحياة التي يعيشها الإنسان داخل ذلك المجتمع ويتعايش معها، وهي ليست تلك السياسة المطبقة على المجتمع فقط كما كانت ذلك المفهوم القديم في العصور القديمة وخاصة في اليونان، وهذا ما جعل المدرسة الديمقراطية يعيش فيها المتعلمون ويتأقلمون مع بعضهم البعض المعلمون

[1] جون ديوي، المدرسة والمجتمع، المصدر السابق، ص17.
[2] المصدر نفسه، ص18.
[3] المصدر نفسه، ص18.

والعاملون كلهم أصدقاء وزملاء يتضامنون لتحقيق الأهداف والمساواة والعدالة والحرية بين الأفراد في المجتمع.

ولعل من أهم مميزات التفكير الناجح لدى "جون ديوي" "John Dewey" هو أنه « لم يكن مما يعني التربية التقليدية في قليل، أو في كثير أن تقيم عملية التربية على أساس من التفكير العلمي السليم ».[1]

نحن أمام موقف يدفعنا إلى التساؤل التالي: إلى ماذا كانت توجه التربية التقليدية جهودها؟ كانت توجهها لإقامة هذه العملية على أساس من التحفيظ والتسميع، والفعل والتكرار والتقليد، ومن جهة أخرى ما مدى تأثير هذه الطريقة التربوية على سلوك التلميذ؟ أي بسؤال آخر هل كانت آثارها إيجابية أم سلبية؟

بطبيعة الحال أدت إلى قتل روح الابتكار لدى التلاميذ وتحويلهم إلى نوع سيء من المواطنين ذلك النوع الذي لا يصلح إلا لكي يؤمر فيطاع، أتعلمون لماذا هذا الأمر؟ لأنه يعيش ويفكر على فتات أفكار الآخرين، وهذا هو بالضبط ما يعيق عملية التقدم، ولقد تنبه "جون ديوي" إلى هذه الحقائق فاعتنى بأمر التفكير، وحاول إقامته على أسس من التجريب العلمي، وجعله عنصرا أساسيا في العملية التربوية. وذهب أيضا إلى أن التفكير هو محاولة تتم عن قصد ووعي بهدف الكشف عن أفعالنا وما يترتب عليها من نتائج.[2]

إن التساؤلات التي كانت تطرح في البداية حول الطريقة التربوية لسلوك التلميذ من بين تلك التساؤلات هي عدم ابتكار الأفكار الجيدة والإبداع لدى التلميذ وهذا راجع إلى الأخذ بأفكار غيره واتباع طريقة الآخر، ولم يعتمد على نفسه بخلق أفكار ومعلومات من تفكيره الشخصي وهذا يؤدي إلى عدم التقدم والتطور وبالنسبة له عائق كبير. وهذا ما جعل "جون ديوي" يهتم ويعتني بأمر التفكير وأصبح محور أساسي في العملية التربوية، وقال أيضا عن التفكير بأنه وعي في ذاتنا ويكشف عما نقوم به من أفعال وما يترتب وينتج عن تلك الأفعال من نتائج.

وقال أيضا في التفكير أنه ليس مجرد مرآة تعكس أحوال الواقع الموجود، بل هو عملية مشاركة يتم من خلالها إعادة تنظيم وتجديد ظروف الواقع حتى تكون أنسب لتحقيق رغبات وأهداف الإنسان والسيطرة على

[1] سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1955، ص94.

[2] سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، المرجع السابق، ص95.

البيئة، يتبين إذن أن التفكير السليم ليس مجرد أفكار مجردة نظرية بل هو انحراف، واندماج التلميذ بأفكاره السليمة في المجتمع وبالتأكيد سوف يحق أهدافه وطموحه وفق تربية منظمة وجديدة.[1]

وفي الأخير نستنتج أن التفكير هو عملية تطبيق في الواقع من أجل أن يحقق رغباته وطموحاته وأهدافه وهذا كله يكون من خلال التفكير السليم.

وإذا كان جون ديوي يسعى إلى رسم معالم تسير وفقها العملية التربوية فهذا لا يكون إلى وفق أسس عملية علمية فما هي إذن هذه الأسس؟

أسس عملية التعليم عند "جون ديوي" "John Dewey":

كان من الطبيعي كذلك أن يعنى البراغماتيون بمحاولة رسم معالم للعملية التعليمية بحيث تسير في خطواتها وفقا لخطوات السير في الطريقة العلمية، وقد لا يتسع المقام لتفصيل ذلك ويكفي أن نشير على الخطوة الأساسية في كل من طريقة التعليم البراغماتية، وطريقة التفكير العلمي.

أولا: أن يجد الطالب نفسه في وضع خبرة حقيقية تنبعث من مشكلة تكون بمنزلة حافز إلى التفكير، ولن يتم هذا الشرط إلى إذا اتسم العمل الذي يوحى به الوضع بالرتابة أو الاندفاع بالهوى الوقتي، فلابد أن تودي الخبرة المتاحة إلى ميدان جديد لم يألفه الطالب من قبل حتى تنشأ المشاكل التي تشكل الدافع إلى التفكير.

ثانيا: وما دام التفكير يتخذ من الحوادث والحقائق مادة له، فلابد أن يستند الإنسان في معالجة ما يواجه إلى مثل هذه الوقائع والحقائق.[2]

وهنا في الأساس الأول يضع ديوي معايير نميز بها بين المشاكل الصحيحة والمشاكل المزيفة حتى لا نقع فيما وقع فيه كثيرون من افتعال المشاكل حتى يتم التفكير.

وفي الأساس الثاني يتكلم عن الصعاب التي تواجه الإنسان إذ أن كثيرا من الصعاب ما يعمل على توقف التفكير وتيئيس الإنسان من حلها، وفي الغالب هذه المشكلات التي يتعرض لها التلاميذ هي السبيل السليم لتكوين لهم خبراتهم الماضية والحالية ما يمكن أن يستخدموا في معالجتها.

[1] سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، المرجع السابق، ص96.

[2] المرجع نفسه، ص99.

« ثالثا: إن البحث العلمي مهما كانت الوقائع فهي ضرورية له إذ أن هذه الوقائع تثير لنا اقتراحات تتخطى ما هو كائن في الوقت الحاضر، ومن هنا كان لزوم الخيال للباحث العلمي ولزومه كذلك للعملية التربوية فيه تقفز من الواقع الذي أمانا إلى عوامل جديدة حيث الاختراع والابتكار ».[1]

ومعنى هذا أن تعتبر التربية التفكير مبتكرا ومبدعا ما دام فيهما الاعتبارات لم تكن مفهومة وغامضة قبل ذلك، ومن ثم وجب أن نعمل على أن تكون الظروف المدرسية مما يشجع على التعلم بمعنى الاكتشاف والابتكار لا بمعنى تكديس المعلومات.

رابعا: أن الأفكار تظل ناقصة مادامت أفكار وهي هنا مؤقتة ومن قبيل الاقتراحات والتطبيق وحده هو محل اختبارها، وهو الذي يلبسها لباس الحقيقة ويكسبها كامل المعنى، لذلك كان من الضروري منح المدرسة فرصا لتجريب الأفكار واختبار صحتها، كأن تجهز المدارس بالمعامل والورش والمسارح، لكي تزود التلاميذ باتجاهات إيجابية كالتحرر من التعصب والانحياز وتركيز الاهتمام داخل الفصل الدراسي على تحمل المسؤولية الأخلاقية، فكثير من الناس يعتنقون مبادئ معينة ثم يهربون منها عندما تواجههم مشكلة، والمدرسة أحيانا تسهم في إيجاد مثل هذه العادة السيئة لدى التلاميذ، إذ تقدم لهم مواد دراسية بعيدة عن خبراتهم وفوق مستوى مداركهم، والأمر مهم أيضا في الحياة المدرسية أن نجرب أفكارنا ونفحصها ونلبسها الحقيقة والواقع.[2]

إن تنمية عادات التفكير بالطريقة التي أسلفنا ذكرها شيء مهم وضروري بالنسبة للتربية ولكي نقوم بهذه المسؤولية عليها أن تزود التلاميذ بهذه الاتجاهات مثل العقلية المتحررة والإخلاص والمسؤولية.

أهم الأفكار التربوية لجون ديوي يمكننا تلخيصها فيما يلي:

- ربط المدرسة بالمجتمع.
- التربية عملية حياتية، وليست عملية إعداد المستقبل أي الاهتمام بالموضوعات العملية بصورة عامة.
- العلاقة بين الديمقراطية والتربية.[3]

من هذا المنطلق يتبين لنا أن جون ديوي كانت له شهرة عالمية في مجال التربية والتعليم وهذا ما لاحظناه من خلال أن الكثير من نظريات أقطار العالم سعت إلى تطبيق نظامه التربوي في منهجها

[1] سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، المرجع السابق، ص100.

[2] المرجع نفسه، ص100.

[3] جون ديوي، المدرسة والمجمع، مصدر سابق، ص20.

المدرسي، لأنه يرى أن المدرسة تعكس مستوى التطور الاجتماعي، وقد أحدثت هذه النظرية تأثيرا دائما على المدارس الأمريكية.

ثالثا: القواعد الفلسفية والأسس المنطقية التي ساعدته لبناء فلسفته التربوية.

1. الخبرة أساس فلسفة التربية عند "جون ديوي" "John Dewey":

قدم "**جون ديوي**" تصورا جديدا للفلسفة بصورة عامة والتربية بصورة خاصة ذلك التصور يتمثل في الخبرة، ولهذا يجب أن نلفت النظر إلى المفهوم الصحيح في إطارها الفكري والفلسفي.

« جعل "**ديوي**" الخبرة عملية ديناميكية متغيرة ومتطورة تعبر عن الترابط بين الفكر والعمل والتفكير والنشاط والفرد والمجتمع، وإنها عملية الحياة نفسها وحقيقة التكيف ذاته، بل إنها السبيل إلى بناء الحياة الديمقراطية والقائمة على احترام الفرد، وأداة التفاعل بين الكائن الحي وبيئته، فالخبرة ليست شيئا اختباريا بل تجريبيا ».[1] بما يجمع بين التجريب والمعرفة العقلية.

حيث اعتبر "**جون ديوي**" « الخبرة أساس التربية الجديدة وأولى اهتماما خاصا بها فأمن بأن التربية الصحيحة إنما تتحقق بها، ولاشك من أن الخبرة التي يقصدها "**جون ديوي**" هي الخبرة النافعة التي تحقق تفاعلا بين الفرد وبيئته، ويستثنى بذلك الخبرات التي لا تتضمن تفعلا ولا تحدث التغيرات المرغوب فيها في سلوك الفرد ».[2]

وبهذا كانت التربية للخبرة عن طريقها وفي سبيلها، وفهم طبيعتها يقتضي ملاحظة من عنصرين هامين وهما « الفاعل والمنفعل، فأما من الناحية الفاعلة فيعني بها "**ديوي**" المحاولة أو التجربة في حين يشير الانفعال إلى المعاناة، بحيث إذا أثرنا على شيء فإنه يعاودنا ويحدث فينا أثرا مقابلا »،[3] فتظهر طبيعتها متغيرة تغيرا منتجا ومتجددا لا عقيما لأنها تربها بالوعي لما ينتج عنها، وبهذا لا يمكن الفصل بين العمل الفاعل والمعاناة المنفعلة في الخبرة.

[1] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص287.

[2] جون ديوي، الخبرة والتربية، تر: محمد بسيوني ويوسف الحمادي، دار المعارف، مصر، 1954، ص20.

[3] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص145.

تعتبر التربية أداة لاستمرار الحياة والحياة مرتبطة بالخبرة، فإن "**جون ديوي**" نظر إلى التربية على أنها هي التكوين الجديد للخبرة أو كما يقول: « هي عملية نمو داخل الخبرة وبالخبرة للخبرة »،[1] ويستعد بذلك الخبرات التي تفضي إلى النقص والتكيف، حيث نجد "**جون ديوي**" يميز بين الخبرات التي تصدر من الحياة اليومية المعاشة والخبرات الناتجة عن التطور العلمي الحاصل، فالخبرات الأولى نجدها تقوم على تقبل المعتقدات والأفكار دون تفحص ولا تدبر، أما الخبرات الثانية فهي التي تجعل الفرد أكثر تكيفا لأنها تقوم على الفهم الصحيح لإدراك العلاقات بين الأشياء.

« إن الخبرة الصالحة التي تساهم في تنمية الذكاء وتحصيل الفهم والإدراك ولا يكون ذلك دون ولوج المنهج العلمي إلى الحياة ونظرا لما للعلم من تجريبي من دور في الخبرة الحياتية فإن "**ديوي**" أكد على ضرورة اصطناع الأعمال التطبيقية العلمية في التربية المدرسية لربطها بالواقع الذي يتصل بالخبرة الإنسانية، الأمر الذي جعله يحدد وجه الحاجة إلى فلسفة الخبرة أو نظرية لها تمكن من وضع الخطط والمشرعات التربوية ولا تترك عرضة للصدفة ».[2]

لاشك من أن إيمان "**جون ديوي**" "John Dewey" بدور الخبرة في الحياة يعبر عن طموحه لبناء التربية التقدمية التي تتماشى وما قدمه العلم الحديث، ولهذا كان يحدد الخبرات التي تنطوي على قيم تربوية، فالذي يؤدي إلى السرقة ويجهد الذكاء ويعلم الاستسلام ليس بخبرة تربوية لأنها تؤدي إلى صلاح الفرد وتسعى إلى استمرار النمو، وهي التي تزيد من مهارة الإنسان وتسمح له بتقبل خبرات جديدة.

هناك مبدأين أساسيين يراهما "**ديوي**" ضروريين في هذه النظرية التي رسمها للخبرة يقول عنهما وقد حاولت أن أبرر حاجة الإنسان وكذلك المجتمع أن لمثل هذه النظرية المهمة للخبرة أن نلفت النظر ونبرز مبدأين مهمين وضروريين وأساسيين في تكوين الخبرة، وهذين المبدأين ألا وهما مبدأ التفاعل ومبدأ الاستمرار.[3]

[1] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص145.

[2] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة، المرجع السابق، ص238.

[3] المرجع نفسه، ص238.

أ. الاستمرار:

هو سمة ضرورية في الخبرة التربوية لأن النمط القديم لم يكن يراعي هذا المقوم مما جعل التربية التقليدية تنحف عن النمو وتتجه الاتجاه غير السليم، ويعني هذا المبدأ أن الخبرة الحاضرة تأخذ من الخبرة السابقة منها، وتشترك معها في ظروف مختلفة، وتتصل أيضا مع الخبرة اللاحقة لتأخذ بها إلى مستوى أعلى وأفضل، وفي هذا يقول: « كما يعني مبدأ استمرار الخبرة من هذه الوجهة أن كل خبرة تستمد شيئا من هذه الخبرات التي مضت من قبل وتكيف بطريقة ما تلك الخبرات التي تتلوها ».[1]

« والخبرة التربوية السليمة هي التي تكسب عن طريق الديمقراطية أي تقوم على المشاركة الحرة الفعالة للفرد داخل المدرسة أو المجتمع وعن هذا الطريق الديمقراطي تنتج خبرة راقية »،[2] لأنها بعيدة كل البعد عن كل الضغوطات والإكراه على عكس ما كان يحدث في التربية الكلاسيكية التي تجبر الأفراد على حمل المعلومات كما يراها المربون دون مراعاة رغبات الأطفال وقدراتهم ومستوياتهم الفكرية والنفسية.

« وبناء على ما ذكرناه يتضح أن مبدأ استمرار الخبرة ينمي الفرد من الناحية الجسمية وكذا العقلية، فالطفل الذي يتعلم الكلام يكتسب سلاسة جديدة ورغبته في التعلم تزداد توسعا في مجال الظروف الخارجية».[3]

فالبيئة التي تصنع أو تنتج من الفرد طبيبا أو محاميا أو أستاذا أو أي مهنة راقية في مجال محترم هي التي تجعله أكثر وأكبر استجابة وتقبلا لظروفها، فالفرد هو الذي تكون ميوله وطموحاته ورغباته النفسية أكثر تأقلما واستجابة معها، ذلك أن الخبرة توسع مجال الظروف الخارجية، فهي أيضا تقوي الميول الداخلية للفرد.[4]

---

[1] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص32.

[2] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص54.

[3] محمود سيد مرسي، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف، القاهرة، 1988، ص118.

[4] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص55.

« ومبدأ استمرار الخبرة التربوية يعتمد أساسا على العادة أي يمارسها الفرد حتى يتم تعديل سلوكه بما يساهم في نقل الخبرات التالية، فالسلوك التعودي في هذا المعنى يتضمن التكوين في الجوانب النفسية والانفعالية والعقلية كما يتضمن أيضا الكيفية مجابهة مقتضيات الحياة ».[1]

ونظرا لدور الخبرة في تنمية الفرد فإن الإنسان ملزم أن يكافح من أجل المحافظة على الاستمرارية في الخبرة وهذا ما يتماشى مع المعنى الحقيقي لفلسفة التربية، وعلى المربي أن يؤمن بذلك.

ب. التفاعل:

يشير مبدأ التفاعل إلى ما يوجد بين الفرد والبيئة من علاقة تأثر وتأثير، أو بعبارة أخرى حاصل هذه العلاقة هي ما نسميه بالتفاعل، ولما كان ليس ثمة شيء في الوجود منعزل بل كل الأشياء في ترابط فالكواكب السيارة توجد وتتحرك في نظم شمسية، وكذا النباتات والحيوانات تتحرك في ظروف وأحوال متفاعلة ومتداخلة مع بعضها البعض، فكذلك الأمر بالنسبة للإنسان الذي يعيش على الاتصال بالآخرين، إذ بمجرد خروجه من الأسرة يجد علاقات وروابط أخرى في المدرسة والمجتمع، تختلف هذه الروابط عن الحالة الاجتماعية التي كان يعيش فيها سابقا.[2]

وبهذا لفظة التفاعل كما يعبر عنها "**ديوي**": « تقرر أهمية متساوية لكلا العاملين الذين يكونان الخبرة ألا وهما الظروف الخارجية والداخلية وكل خبرة عادية هي ثمرة التفاعل بين هاتين المجموعتين من الظروف ».[3]

« وامتزاج هاذين النوعين من الظروف أي الظروف الموضوعية المادية والاجتماعية منها الظروف الذاتية أي الداخلية الخاصة بالفرد حاجاته ونوازعه، هي ما يشكل في النهاية موقفا »،[4] يقضي إلى خبرة تربوية سليمة.

[1] محروس سيد مرسي، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، المرجع السابق، ص119.
[2] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة، المرجع السابق، ص239.
[3] جون ديوي، الخبرة والتربية، مصدر سابق، ص35.
[4] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة، المرجع السابق، ص239.

« وتتنوع الخبرات الناتجة تبعا للفروقات الفردية من حيث الاستعداد والتفاعل، ولهذا يؤمن المربون بأنه لا يمكن معاملة جميع التلاميذ في المدرسة معاملة واحدة، فقد تكون هناك مساواة من حيث توفير وسائل التفاعل ولكن ليست من الناحية التربوية ».[1]

ولهذا كان "**ديوي**" يهدف « الحفاظ على الاتزان بين ميولات الفرد ومقتضيات بيئة العمل في إصلاحه التربوي بتركيز الجهود على الطفل في كل جوانبه باعتباره طرفا مركزيا في عملية التفاعل دون إغفال الجانب الآخر من التفاعل وهو المدرسة أو البيئة وظروفها، وهذا التوازن في التفاعل هو الذي يكون الخبرة ويجددها ».[2]

وعليه إذا لم يكن نتيجة تفاعل الخبرة هو التغير الذي يحدث للفرد ولبيئته فلا يمكن أن توصف بأنها خبرة مربية، مما ذكرناه على مبدأ التفاعل كمعيار للخبرة إلى ما يلي:

1. « أن التفاعل الذي يشير إلى الترابط بين الفرد وميولاته والظروف المحيطة به ترابط أفقي لا عمودي كما عهدته التربية القديمة، بحيث لا يمكن فيه إهمال الطرف المركزي وهو الفرد والتركيز على المادة التعليمية فقط، وهذا التفاعل هو معيار الخبرة التربوية.
2. وفي الخبرة يتجلى التفاعل بين ثلاث مستويات وهي: المادة والحياة والذهن، وكل ذلك يعبر عن التبادل المشترك بين الفرد وبيئته أو بين التلاميذ ومادته التعليمية ».[3]
3. « الخبرة الناتجة عن كل تفاعل ليست واحدة بين الأفراد بحكم طبيعة قدراتهم وما يحيط بهم.
4. تتنوع الخبرة تبعا لتنوع المواقف فهي في تجدد وتعدد.
5. إن التقدم العلمي الحاصل يمكن الخبرة حينما تصبح تجريبية أن تنمي أفكارها ومعاييرها المنظمة الخاصة بها ».[4]

وبالتالي تتجدد الخبرة والمعاني والقيم والأفكار الفلسفية والدينية التقليدية، وتتجه إلى الواقع المتغير والذي يتسم بالتطور، مجمل القول أن "**جون ديوي**" جعل من هدف التربية هو النمو في كل نواحي الفرد الجسمية

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص56.

[2] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة، المرجع السابق، ص240.

[3] وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص527.

[4] جون ديوي، البحث عن اليقين، تر: أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1960، ص132.

والعقلية والنفسية، وذلك لا يتحقق في ظل النظام التربوي الكلاسيكي القائم على إهمال قيمة الخبرة، بل يتحقق بالخبرة والتي تتأسس على مبدأي التفاعل والاستمرار.

2. المنهج الأداتي ودوره في بناء فلسفة التربية:

« ساهمت الخبرة في بناء فلسفة التربية عند "**جون ديوي**" "John Dewey" بشكل واضح كما ساهمت أيضا في إبراز المناهج والطرق التي تظهر الناجح والتقدم وتميز الفشل والإخفاق »،[1] «حيث جعل الفكرة وسيلة لكل معرفة وتبعا لذلك أضحت منهجية تقوم على استخدام نتائج البحث كوسائل للدلالة على صدق القضايا، فالصدق عنده هو ما يفيد وينفع »،[2] « وهو يجمع بين الصدق والنفع، فالصدق عنده ليس صدقا إلا أنه نافع وليس نافعا إلا أنه وسيلة تستجيب للواقع المشخص للإنسان ».[3]

ويبدو أن تأكيد "**جون ديوي**" على أن الفكرة ذريعة لخدمة الحياة والفلسفة نظرية عامة في التربية يشير إلى أن العالقة الوثيقة بين التفكير الفلسفي والمجال التربوي من جهة ودور التصورات الفلسفية لكل فيلسوف في حل المشكلات الاجتماعية في الحياة من جهة أخرى، وبهذا يمكننا الاطلاع على دور المنهج الأداتي في بناء فلسفته التربوية، فما هو هذا الدور الذي لعبته الأداتية في بناء فلسفة التربية عنده؟

قبل الوقوف على فعالية المنهج الأداتي في نشأة فلسفة التربية عنده لابد أن نعرج إلى مفهومه، « فكلمة منهج تدل على مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ الهدف، كما يدل على كيفية تصور العمل حول موضوع دراسة ما والتخطيط له، فمثلا المنهج العيادي ينشد هدفا علاجيا، كما يفرض المنهج التجريبي طريقة تصرف ما على مستوى الملاحظة، وأسلوب في المعالجة الناتجة عنها ».[4]

فمن المفيد أن نعرف كيف أقام "**ديوي**" منهجه الأداتي على اعتبار أنه جعله المنهج الملائم للتفكير في الحياة المعاصرة، عندما وضع منهجه هذا كان يهدف إلى « الرجوع إلى مذهب أرسطو من اتخاذ المنطق أداة للتفكير لا كما فعل كانط وأتباعه من جعلهم المنطق صوريا وأن في العقل صورا أولية للتفكير ».[5]

---

[1] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة، المرجع السابق، ص210.

[2] فؤاد كامل، أعلام الفرك الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص120.

[3] وليام جيمس، البراغماتية، المصدر السابق، ص241.

[4] موريس أنجلس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي، دار القصبة للنشر، ص98.

[5] زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، ج 1، 1986، ص67.

وتحت تأثير المنهج التجريبي رأى "**ديوي**" ضرورة وجود منهج جديد فأخذ برأي **بيكون** في معارضته للمنطق الأرسطي لما اعتبره منطقا يهدف إلى السيطرة العقلية لا الواقعية، وقد صرح بهذا في كتابه تجديد في الفلسفة حينما قال: « ولكن لم يفت **بيكون** مع ذلك أن يحمل على طريقة أرسطو ذاتها، فقد كانت في أدق أشكالها ترمي إلى الإقناع، ولكن البرهنة والإقناع كليهما يرميان إلى السيطرة على العقل لا على الطبيعة، فضلا عن أنهما يفترضان أن أحدا قد حصل من قبل على حقيقة معينة أو اعتقاد خاص وأن المشكلة التي يواجهها لا تخرج عن أن يقنع آخر بهذه الحقيقة أو بذلك الاعتقاد أو يعمل على تعليمها للناس ونشرها فيما بينهم ».[1]

« لما أخذ "**جون ديوي**" "John Dewey" بالمنهج التجريبي الذي وضعه "**بيكون**" حاول ربطه بالشؤون الاجتماعية لتأسيس منهجية الأداتي واتخذ من خطواته الثلاثة (الملاحظة والفرضية والتجربة) دعامة للتفسير المنطقي وأسس نظريته في البحث التي تقوم على مراحل مترابطة، إذ تبدأ بالمشكلة وتنتهي بالحل الذي يمثل نتائج البحث، والتي تصبح بدورها أدوات ووسائل يستخدمها الفكر في مواجهة مشكلات أخرى ».[2]

فالأفكار والمعلومات الموجودة في المنهج التجريبي مهما اتسعت وكثرت وخلت من التناقض وتحقق فيها الترابط والانسجام الذاتي يجب أن تخضع للتجريب العلمي للأخذ بها وتبنيها والعمل كذلك بها.

« وبهذا تتجلى الفلسفة الأداتية عنده فهي تدعو إلى التخلص من الطابع الميتافيزيقي والتحلي بالمنهج العلمي والاستفادة من نتائجه ».[3]

[1] جون ديوي، تجديد في الفلسفة، تر: أمين مرسي قنديل، مكتبة الأنجلو مصرية، 1947، ص120.

[2] زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص95.

[3] محمد الجديدي، فلسفة الخبرة، المرجع السابق، ص218.

رابعا: امتدادات فلسفة التربية البراغماتية في العالم من خلال المربي "جون ديوي" "John Dewey".

1. امتداد فلسفة التربية الديوية في العالم الغربي:

إن لأفكار "**ديوي**" تأثير بالغ على مجال التربية في العالم الغربي، وهذا ما نجده ونلتمسه من خلال الكثير من المربين المعاصرين في مقدمتهم تلامذته ومن بين تلاميذه نجد "راندال"، "إيدمان"، "هوك راتز" وغيرهم، وبهذا يمكن اعتبار "**ديوي**" صاحب مدرسة ومذهب فكري في الفلسفة والتربية وعلم الاجتماع وعلم التاريخ، حيث نجد العديد من المتأثرين به من خلال شرح معظم أفكاره، وجمع عدة مقالات لأستاذهم ونشرها في مجلد من بين تلك المقالات نجد "**العقل في العالم الحديث**"، وكلهم ساهموا في إيصال معالم فلسفة "**ديوي التربوية**" ونشرها في الكثير من البلدان.

« حيث يرجع هذا الاهتمام إلى الأمريكيين عموما بنظم التربية في أوروبا بعد الثورة الصناعية من خلال مكتب الولايات المتحدة الأمريكية للتعليم منذ 1868، وهو يهتم بنشر التقارير والدراسات والإحصائيات عن نظم التعليم في البلاد الأجنبية لتستفيد منها أمريكا في تطور نظمها فرحلاته إلى أوروبا لا تخرج عن هذا الإطار حيث سافر إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وتركيا والإتحاد السوفياتي سابقا، الذي كان فيه أهم نشاط مارسه "**ديوي**" خارج مجال التربية والتعليم ».[1]

وفي الأخير نستنتج أن امتداد فلسفة التربية عند "**ديوي**" في العالم الغربي كان نتيجة نشر أفكاره من خلال تلاميذه المتأثرين به، لأنهم ساهموا في إيصال ونشر فلسفة أستاذهم في الكثير من البلدان الغربية من أجل تطوير نظمهم.

2. امتداد فلسفة التربية الديوية في العالم العربي:

في أواخر القرن التاسع عشر حدثت حركات إصلاحية في الوطن العربي نبهت الشعوب العربية بالتطورات التي عرفتها الحضارة العربية، فكانت بداية الاهتمام بنتائج التربية البراغماتية من خلال العمل بالتخطيط التربوي حيث يتم ربط الخطة التربوية بنواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية لكل مجتمع، وهي تلك الرؤية التي أبانت على فعاليتها في البلدان المتقدمة، كما حاولت البلدان العربية بناء سياستها التربوية

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص29.

على مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم، ومنحته قيمة كبيرة للتعلم الفني والمنهجي، فصدر في لبنان قانون ينص على ذلك سنة 1968، وحدثت أيضا في السعودية إنشاء مدارس متوسطة للإعداد الفني في السنة.

« كما كان لفلسفة التربية البراغماتية الأثر العميق على رواد التربية العربية، ففي مصر ظهر العديد والكثير من الرواد الذين تأثروا "**بجون ديوي**" من خلال إطلاعهم على تجاربه البراغماتية التربوية، ومن بين الرواد الذين تأثروا به نجد الأستاذ "إسماعيل القباني" حيث يقول كان لفلسفة التربية أثر كبير في تطور نظريات التربية في القرن العشرين وكانت أهم العوامل التي أثرت في التوجيه حركة التربية الحديثة أو التربية التجديدية أي التقدمية، وفي هذه الحركة التي اتخذت من مبدأ التربية عن طريق النشاط شعارا لها ».[1]

« حيث كان مسرح الأحداث هو معهد التربية الذي نشأ عام 1920م، والذي عمل فيه الأستاذ "إسماعيل القباني"، حيث اطلع على تجارب البراغماتيين التربوية واستخدم الأساتذة والخبراء وحث التلاميذ على ترجمة بعض الكتب التي كتبها البراغماتيون حول التربية، وخاصة الكتب التي كتبها "جون ديوي" حتى أصبح صوت "ديوي" يعلو كل الأصوات في ساحة التربية في مصر ».[2]

حيث نجد العديد والكثير من العوامل التي ساعدت على انتشار الفكر التربوي الجديد في مصر، ومن بين تلك العوامل هي إنشاء البحوث الفنية والمشروعات عام 1955، ومركز الوثائق التربوية سنة 1956م والتي كانت تعتبر دافعا قويا لبداية التجريب والبحث في أمور التربية وساهمت في التعديل الجوهري في نظم التربية ومناهجها في مصر، وامتد ذلك إلى كل البلدان العربية بحكم المعاهدات والاتفاقيات، وكذلك من خلال ترجمة عدد كبير من كتب "ديوي" إلى اللغة العربية.

ونجد كذلك "إسماعيل القباني" أنشأ عام 1932م، مدرسة ابتدائية جديدة تختلف عن المدارس التقليدية في مصر، حيث يصل عبد الفتاح الميناوي « إلى أن هذه المدرسة التجريبية هي بمثابة الدم الجديد

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص65.

[2] سعيد إسماعيل، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1995، ص105.

الذي يسري في عروق المربين والمتعلمين، وهو يولي الأهمية الكبيرة إلى الجانب العملي في التربية وهو ما أثمرته نتائج ناجحة منذ تأسيس المدرسة إلى يومنا هذا ».[1]

إن الأستاذ "القباني" حاول تقديم جملة من الموضوعات الدراسية الجديدة في صورة تحمل التطور الذي بلغته المناهج التربوية وتطبيقاتها الناجحة في الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يتجاهل الحالة التي عليها الواقع العربي عموما، فعمل على « تكييف تلك الأفكار التربوية الجديدة بما يناسب وتطوير التربية وإيمانه العميق بضرورة عمل يساعد على الخروج من مرحلة التخلف والجمود في تلك الفترة التي شهدها العالم العربي، بعدما أنشأت مدارس "ابتدائية نموذجية" ثم إنشاء مدارس "ثانوية نموذجية" منها المدرسة النموذجية الثانوية بحدائق "القبة" وهي مدرسة "النقراشي" الثانوية، كما أنشأت مدرسة "الأورمان" النموذجية الابتدائية وكل هذه المدارس تعتمد على التربية العلمية، وتتبع الطرق التقدمية القائمة على طريق النشاط أو العمل ».[2]

[1] صالح عبد الغني عبود، في التربية المقارنة، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، 1974، ص538.

[2] المرجع نفسه، ص ص 176، 177.

المبحث الثاني: في مجال الأخلاق والدين.

أولا: الأخلاق.

لقد كان " جون ديوي' ' عالما في المجال التربوي كما سبق، حيث حاول بجدارة التجديد فيه لأجل الرقي بالإنسان إلى أبعد حد، أي من جميع النواحي الاجتماعية، النفسية والأخلاقية، كذلك وعلى هذا الأخير نطرح التساؤل كيف كان " جون ديوي" ينظر إلى الأخلاق؟ وهذا ما سنتطرق ونتعرف عليه في هذا السياق.

أولا نجد أن كلمة الأخلاق في معناها اللغوي تدل على جمع خُلُق، إن أصل هذا اللفظ « مشتق من أصل يوناني يرجع إلى لفظ يقابل ما نسميه بالخَلْق ويتصل هذا الخلق بالعادات **(الفردية) Habits** والعرف الجماعي **Custom** »،[1] فالخلق هو صورة الإنسان الباطنية « وهو العادة والسجية والطبع، والمروءة والدين».[2] حيث نجد أن لفظ الأخلاق تطلق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس سواء كانت خيرة أو قبيحة كما قال "ديو".

أما فيما يخص معناها الاصطلاحي فهي مجموعة من القواعد السلوكية التي يلتزم بها سلوك الفرد، و« علم يبحث في الأحكام الخاصة بالخير والشر والفضيلة وهو على نحوين: إما أن يتجه إلى تحليلي سيكولوجي أو سوسيولوجي لأحكامنا الخلقية، لبيان أسباب استحساننا أو نفورنا وإلى بيان أسلوب الحياة الذي ينبغي أن تحتذيه كأسلوب خير أو حكيم ».[3]

ومن هذا المنبر نجد أن الأخلاق كعلم فهي تبحث عن كل ما يخص الخير والشر كقيم، ويجب التفريق بينهم وذلك من خلال معنى كل واحد منهم على حدى.

لكي يكون إنسان كامل يجب أن يتبع القواعد الأخلاقية فالإنسان الأخلاقي هو « كل ما به صلة بالأخلاق كالضمير أو العمل أو الحكم الأخلاقي ويقابل اللا أخلاقي ».[4]

---

[1] توفيق الطويل، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، ط 3، القاهرة، ص ص 465، 466.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص49.

[3] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص33.

[4] إبراهيم مذكور، المرجع السابق، ص05.

أما فيما يخص رؤية وتفسير " جون ديوي""John Dewey" للأخلاق يتوقف تفسيره للسلوك الإنساني تفسيرا سليما حيث نجد « أن الطبيعة الإنسانية والعوامل الاجتماعية المختلفة تشترك معها في تكوين هذا السلوك وتوجيهه وان تعدد الرؤى الأخلاقية يرجع إلى تعدد الرؤى إلى الواقع والعلم الحديث »، ولعل " جون ديوي" قد أسهم في تطوير العلم الأخلاقي.[1] إلى حد كبير وذلك راجع إلى كتبه، مثلا كتاب "الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني" كتاب في "الأخلاق" وكتاب "البحث عن اليقين" وهي عبارة عن ملاحظات تم إلقاؤها في **"بيفورد"** عام 1921م، وفي كتاب "الأخلاق" اشترك ديوي مع الأستاذ "جيمس هايدن تفتس" عام 1908م.[2] ومن خلال ما يدور في هذه الكتب من معلومات قيمة عن الأخلاق حسب نظره، هي من أكثر الموضوعات إنسانية وإحسانا ورحمة، وعلى هذا النحو يمكن استئصاله تجربة اختيارية وليست لاهوتية ولا ميتافيزيقية ولا حسابية، وكما أنها غير منفصلة أو معروفة إنها معرفة للطبيعة مادية سيولوجية تاريخية موضوعية في محتوى إنساني تثير وتوجه مناشط الناس.[3]

إن "جون ديوي" يعتبر أن « العامل الأخلاقي جزء ذاتي من مجموعة القوى الاجتماعية المعقدة كل التعقيد والتي نسميها الثقافة »،[4] فليست الخلاق متعالية مثالية موجودة إلا في فرد فقط، بل هي ككل العلوم حيث تكون الخلاق كذلك هي بحثا علميا موحدا ومضبوطا.[5]

ومن ذلك نستنتج أن الأخلاق بالنسبة "لجون ديوي" هي علم كباقي العلوم الأخرى، لها علم مضبوط بقواعده.

نجد أن المشكلة الأخلاقية لا تظهر إلا إذا كان هناك تعارض بين قيمة مع أخرى مثلا تعارض قيم الشر مع الخير وحينها نشعر بهذا التعارض، وهذا الشعور يستدعي الاهتمام والصراع فيه ومن هذا المنبر يتجلى

[1] جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: لبيب النجيبي، مؤسسة الخانجي فران كلين، القاهرة، 1964، ص81.

[2] وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص520.

[3] رالف وين، قاموس جون ديوي للتربية، تر: محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو مصرية، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1964، ص163.

[4] جون ديوي، الحرية والثقافة، تر: أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، الإسكندرية، 2003، ص14.

[5] جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، المرجع السابق، ص02.

الموقف الأخلاقي، حيث عرف "جون ديوي" الأخلاق من الناحية العلمية هي التقاليد وهي العادات الجماعية المقررة، وتأثير التقاليد في العادة وللعادة في التفكير وهنا يأتي الموقف الأخلاقي.[1]

نستنتج إذن أنه لا يمكن أن يتجلى الفرق بين القيمتين إلا إذا تعارض كل من قيمتين فيظهر ما يسمى بالموقف الأخلاقي وعلى هذا نجد أن "جون ديوي" عرف **"القيمة"** في بحثه "البحث عن اليقين" بأنها المناهج التي تنتج عن الفعل الذكي لأن الحياة الإنسانية تتميز في درجتها عن الذكاء، ونجد أن هذا التوجه نحو اعتبارات القيمة توجها عاما لدى معظم الفلاسفة البراغماتيون، حيث نجد في عام 1920م أصدر "جون ديوي" كتاب "التجديد في الفلسفة" يقول: « إن العمل الذهني في القرن الذهبي العشرين فيما يتعلق بالعلم الحديث هو على النحو التالي: يجب أن تتكون الأفكار الجديدة والمناهج المحلية في مجال الحياة الأخلاقية والاجتماعية فهل يأخذ على عاتق العمل الذهني خلال القرن العشرين القيام بهذه الخطوة الأخيرة؟ عندما تؤخذ هذه الخطوة فإنه ستكتمل حلقة التطوير العلمي ويتم التجديد في الفلسفة ».[2] يقصد بهذا القول يمكن تجريب هذه الخطوة على الأخلاق ومن هنا يكون التجديد في الفلسفة، « إذا ما طبق المنهج التجريبي على الأمور الأخلاقية جعل خيرية كل صفة يقال عنها أنها خير تقدر بحسب ما تؤدي عليه من تحسين في أحوال الأدواء والشرور التي يعانيها الناس في الوقت الحاضر ».[3] أي نقصد إذا ما نطبق هذا المنهج التجريبي على الصفات الأخلاقية فإنه ستكون كل صفة كل قيمة هي خيرية.

أما في كتابه الآخر "إعادة البناء في الفلسفة" في فصل إعادة المفاهيم الأخلاقية (كان هناك تأثير حيث استبدل كل مناهج الفكر العلمي إلى أفكار ونظريات أخلاقية وتحولت قواعد أخلاقية إلى مبادئ ومبادئ إلى مناهج وهذه المناهج إلى فهم وإدراك).

لقد بدأ اليونان في البحث عن الأخلاق على أساس عقلي بدلا من انتهاجها من العادة وبالتالي العمل الرئيسي للنظرة الخلقية خبر واحد نهائي محدد والارتباط بهذا المبدأ هو بسبب الخلافات بين المدارس الفلسفية التي ظهرت.[4]

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص127.

[2] المرجع نفسه، ص127.

[3] المرجع نفسه، ص ص 127، 128.

[4] جون ديوي، إعادة البناء في الفلسفة، تر: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، 2010، ص145.

وعلى هذا الأساس نجد أن مبادئ عامة أصبحت طرق للفهم، ذلك راجع إلى تلك النظريات الأخلاقية التي نشأت بين الإغريق على أنها محاولة منهم لإيجاد نظام يسير عليه الإنسان في الحياة يقوم على أساس من العقل. ولا يكتفي ديوي باستعراض آراء الفلاسفة الإغريق التي فصلت بين العالمين السفلي والعلوي والتي تهدف إلى الوصول لقيم العالم العلوي وعدم تحقق هذه القيم جعل الإنسان يعيش متمزقا لا يوفق بين العالمين.[1]

حيث نجد أن ديوي تمسك بموقفه الأخلاقي على كثير من آراء الفلاسفة منهم "**توماس ها قري**" **والفلاسفة المثاليين الهيجليين الجدد** إلى أنه يثني على انتباه المدرسة النفعية والسلوك في الأخلاق إلى نتائج الأفعال،[2] حيث يقول ديوي في كتابه "الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني": « ولقد النفعيون أيضا من الخير والشر والصواب والخطأ مسائل خاصة بالخبرة الواعية وأنزلوها بالإضافة إلى ذلك إلى أرض الخبرة اليومية ».[3]

ومن هذا المنبر نستنتج أن كلا قيمتي الخير والشر وغيرهم هم داخل وعاء واحد وهي الخبرة الواعية واليومية وكذلك نجد أن القيمة بالنسبة "لجون ديوي" « تنشأ نتيجة لظروف الإنسان فهي تنبعث من محيطه وليست منزلة عليه من سلطة عليا، وعلى هذا الأساس فهي ليست قيم ثابتة على مر الزمن بل هي متغيرة مع مواقف الإنسان ».[4] ومن هنا نجد أن المشكلة الخلقية هي أهم مبحث من مباحث الفلسفة لأنها أكبر المشاكل العملية ارتباطا بحياة الإنسان العادية، ولأنها تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان، واحتلت هذه المشكلة مكانة عالية في بحوث "ديوي" ودراساته الفلسفية بل هي تاج مذهبه، فإن المشكلة الأخلاقية كان يعالجها "جون ديوي" علاجا موضوعيا، وللقدرة على علاجها يجب وضعها في العصر الحاضر لكي نستطيع فهمها وحلها بما تقوم عليه من نظم اقتصادية، اجتماعية وحتى ثقافية حيث يقول ديوي عن المشكلة الأخلاقية « أنها مسلك في أكثر منه أمرا أخلاقيا، إنه ذوق ومهارة، وإيثار شخصي، وحكمة عملية أو مسألة اقتصادية مناسبة».[5] فهناك طرق كثيرة كما نرى وهذه الطرق التي وضعها ديوي تؤدي إلى نتائج كثيرة، وعلى العلم من هذا أن المشكلة الأخلاقية لا تتجلى إلا إذا تعرضت أو تعرض إنسان لموقف ما تتعارض فيه الغايات، ومن هنا تظهر المشكلة الأخلاقية أي من الوسائل يتبعها لتحقيق ما يختاره من الغايات يا ترى؟

---

[1] كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي ونظرتهما للطبيعة الإنسانية، المرجع السابق، ص165.

[2] وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ص 520، 521.

[3] جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، المصدر السابق، ص303.

[4] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط 3، 1987، ص167.

[5] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص135.

حين نشعر بالتعارض شعورا يستدعي ضروبا مختلفة من الاهتمام والإثارة ويكون هناك صراعا في الميولات والأفعال وعندئذ يوجد حقا ما يسمى بالموقف الأخلاقي.

حيث نجد أن "جون ديوي" "John Dewey" اعتمد في شرحه لنظريته الأخلاقية على ثلاثة مقاصد:

1- الأخلاق إنسانية تنبع من صميم الحياة التي نعيشها على ظهر الأرض وليست أخلاقا متعالية تفرض على الإنسان فرضا.
2- الأخلاق اجتماعية لا تحصر السيرة الفاضلة داخل الفرد بينه وبين نفسه، ولا تنبع من الذات أو النفس أو الضمير أو العقل.
3- الأخلاق يمكن بحثها علميا كما تبحث سائر العلوم الطبيعية، ويمكن ضبطها وتوجيهها كما تضبط العلوم.[1]

فالقيم عند "ديوي" تنشأ نتيجة لظروف الإنسان فهي تنبعث من محيطه وليست منزلة عليه من سلطة عليا، وعلى هذا الأساس فهي ليست قيم ثابتة على مر الزمن بل هي العصر الصناعي الجديد.[2] فالخلاق ومثلها تنشأ نتيجة المواقف التي يقفها الفرد إزاء المشاكل التي تعترضه، والفرد في الأمم يكون يستهدف المستقبل القادم، فيهيم بنتائج مواقفه التي قد تغير أوضاع الأشياء وتساعدنا على حل المشكلات التي نتعرض إليها خاصة المشكلة الأخلاقية وغيرها.

وفي خلاصة القول نستنتج أن نظرة البراغماتية هي نظرة مادية فهي ترى الأخلاق من خلق الإنسان وكده، تكون نشأتها بطريقة تجريبية بحتة وليست خاضعة في نشأتها لأي قوة عليا. وهي متطورة ومتغيرة لا ثابتة وهذا بفضل خلق الإنسان وتجربته في الحياة وتبعا للظروف والمواقف والمصلحة والمنفعة كذلك.

فالأخلاق ليست ثابتة ويجب أن تكون موافقة للرأي العام.

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص ص125، 126.
[2] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط 2، 1987، ص167.

ثانيا: الدين عند "جون ديوي" "John Dewey".

أما "ديوي" فكان أكثر إلحادا وأشد تطرفا من غيره فيعتبر الدين بالنسبة إليه هو دين تجريبي تماما، دين إنساني دين طبيعي ليس دينا إلهيا، فهو يرى أن كل دين « هو تعبير عن عادات ومواقف عقلية لأي شعب وشعائره وعباداته والتي تتبلور جميعا في الاعتراف بالألوهية وبقداستها وبما يعنيه ذلك من مغزى في صدور العلاقات التي تزخر بها هذه الحياة ».[1]

وعلى هذا فالدين الذي يدعو إليه "جون ديوي" هو الدين الطبيعي دين إنساني بعيدا عن الإله.

(حيث يرى كذلك أن الدين الحق هو الذي يرتكز أساسا على المثل بدلا من تلك الطقوس على تفرض علينا تفسيرا لأن المثل تتجه بنا إلى أفضل ما يمكن أن نحاول بلوغه من الإيمان).[2] وإذا كان ديوي قائم على المثل فإنه يرى أن المثل الأعلى للمجتمع هو أن يتعاون كل الناس مع بعضهم البعض بما أن الإنسان يتعاون مع أخيه الإنسان فإنه حر ويعيش في مجتمع ديمقراطي، ونستنتج أن التعاون هو الدين في جوهره.

حيث يكون معنى « الإيمان الحق إنما هو إيمان بالكشف عن الحقيقة التي تحل ما يعترض الإنسان من صعاب، والإيمان الحق إيمان بمنهج يساير التفكير ويساير الحياة العملية مسايرة تعمل على ازدهار تلك الحياة ورخائه، والله هو العلاقة بين الإنسان ومثله العليا يحاول تغيير أوضاع الحياة على مقتضياتها ».[3]

فالدين بالنسبة "لجون ديوي" ليس المثل العليا خاصة به ولا منهج للتفكير خاص به، وإنما هو روح تسري في الإنسان إثر مواقفه وخبرته.

يفرق ديوي بين ما يسمى بالدين وبين ما يسمى بالتدين، قال: « فالدين قوة عليا غير متطورة، من قبل الغيب، وما كان كذلك فلا سبيل لنا إلى معرفته وإنما نعرف فقط أشخاصا متدينيين، لهم تجارب دينية ويبدو في سلوكهم مظاهر خاصة من أداء شعائر وطقوس »،[4] أما فيما يخص التدين « هو ظاهرة اجتماعية

---

[1] هربيت شنيدر، تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال عام 2000، تر: محمد فتحي الشنقيطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964، ص351.

[2] المرجع نفسه، ص355.

[3] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط 2، 1987، ص ص 176، 177.

[4] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص139.

خاضعة للثقافة أو الحضارة، فكل إنسان يولد في مجتمع له دين وله طقوس وكنيسة ولا ينقسم الفرد على الكنيسة ».[1] معنى هذا القول أن ديوي أراد أن يفرق بين الدين والتدين وهذا راجع إلى أن الدين نستطيع التعرف عليه من خلال التجارب الدينية السابقة خاصة في الشعائر والطقوس وغيرها، أما التدين يصفه ديوي بأنه ظاهرة اجتماعية، معنى ذلك أن كل فرد يعيش في مجتمع له دينه وله طقوسه وعاداته ومن هذا فهو اجتماعي بطبعه.

وقد جاء الإسلام ينهى عن التقاليد ويدعو إلى النظر والتحرر، وكذلك فعل ديوي فعنده أن الأديان مثقلة بميراث من الطقوس والعقائد وبخاصة الغيبية ولكن تقدم العلوم في العصر الحاضر يهيئ الجو للتحرر من القديم وقولنا (الله) إما أن يعني موجودا خاصا وإما أنه يدل على (وحدة) جميع الغايات المثالية التي تثير فينا الرغبة والعمل. والله يمثل توحيد القيم المثالية، وأن ديوي كذلك يرفض قبول فكرة الإله المنفصل عن العالم مادام يرفض جميع الثنائيات ويقبل فكرة الإله.[2]

نجد أن الدين الذي يدعو إليه "ديوي" هو دين طبيعي، دين إنساني، وقد كان ديوي إنسانيا بكل معنى الكلمة يدعو إلى تحقيق إله واحد ودين واحد وإيمان مشترك يتطور مع تطور الحياة، هذا ما قد دعا إليه "ديوي" ويتوافق مع الدين الإسلامي الذي هو دين إنساني دين عام يفسح المجال لكل واحد للتطوير فيه ويدعو إلى نظر العقل والتأمل والتفكير.

نجد أن "جون ديوي" "John Dewey" قد تطرق إلى ما يسمى التجربة الجمالية وقام بعلاجها كما عالج التجربة الدينية، فهما على السواء نابعان من اتصال النفس الإنسانية بالعالم الخارجي، وقد « التمس "جون ديوي" حل للمشكلة الدينية في (التدين) لا الدين فيرد الأمر للتجربة الدينية بطبيعة الحال، لأن هذه التجربة تمتاز بالصداقة مثلا **التجربة الدينية شعور مباشر** وهي الأساس الذي تضاف إليه العقائد والمحور الذي تدور حوله النظم »،[3] لن وجودها يدل على تغيير في أنفسنا والأمن في العالم. ومن هذا المنبر تشعر النفس أنها هي كل شيء وهي ثمرة هذه الحياة والعالم بأسره، وهنا يكون الخيال مرتبطا بين النفس والكون.

[1] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، مرجع سابق، ص140.

[2] المرجع نفسه، ص142.

[3] المرجع نفسه، ص143.

ومما تقدم نستنتج أن الدين عند "ديوي" في نهاية المطاف هو دين إنساني دين طبيعي، تجريبي وأن كل مل يحدث من مواقف فهي راجعة إلى خبرة الإنسان.

« ليس له وجود محقق ويؤيد بيان الإنسانيين الذي صدر في أمريكا سنة 1933م ووقع عليه ديوي وغيره من فلاسفة وآمنوا به ». [1]

[1] وليام جيمس، البراغماتية، محمود زيدان، دار المعارف، القاهرة، 1958، ص204.

المبحث الثالث: في المجال المعرفي والمنطقي.

يعتبر مبحث المعرفة من المباحث الفلسفية الرئيسية التي شغلت حيزا من فكر الفلسفة على مر التاريخ، وإن مجالات تطبيق المعرفة والمنطق في الفلسفة البراغماتية، وهنا نوجه الإشارة إلى الفلسفات الأخرى لمعرفة المعرفة الجديدة التي أضافته البراغماتية في هذا المجال « إن المثالية لا تعترف بوجود شيء خارج العقل فلا وجود إلا لما يدركه العقل ما وما ليس يدركه عقل ما يستحيل وجوده، فمعرفة الشيء ووجوده وجهان لحقيقة واحدة فالمثالية قالت بأسبقية الفكر على الوجود ».[1] أي وجود العقل العارف سابقا على الشيء المدرك المعروف والمثالية ميايته تماما لفلسفة البراغماتية، أما الواقعية « بنوعيها فكانت تناقش فيها إذا كانت الفكرة من أفكارنا صورة مطابقة للشيء الخارجي الذي تشير إليه تلك الفكرة أو غير مطابق وهذه المعرفة عندهم لا يلزم أن تؤدي بك إلى عمل تعمله ».[2] وهنا نتحدث عن المعرفة عند البراغماتية وخاصة عند الفيلسوف جون ديوي المعرفة عنده تم الحديث عن الحقيقة لأنها لب النزعة البراغماتية وجوهرها، فالبراغماتية لم تجعل طبيعة المعرفة أسبقية الفكر على الوجود أو حتى مجرد تصوير الواقع الخارجي بحسب ظن الواقعيين، بل جعلتها « أداة السلوك العملي أي أن الفكرة من أفكارنا هي بمثابة خطة يمكن الاهتداء بها للقيام بعمل معين والفكرة التي تهدي إلى عمل يمكن أداؤه ليست فكرة بل ليست شيئا على الإطلاق إلا أن تكون وهما في رأس صاحبها ».[3] إن المعرفة عندهم هي فلسفة تجريبية أي أنها تعتمد على الحس في الوصول إلى المعرفة إلا أنها لم تقف عند حدود التجربة بل ربطت بين الأفكار والنتائج المترتبة عليها، فجعلت الفكرة صحيحة بعد ما تحقق من نفع ورضا.

إن الرضا والإقناع بالفكرة والمنفعة حالات ذاتية بل وفردية لأنه من الصعب جدا أن يتحقق الرضا والمنفعة عن فكرة واحدة ويجمع على قبولهم أو أغلب الناس، وهذا بلا شك تأكيد لمقولة بروتاغوراس «الإنسان مقياس الأشياء جميعا هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود م لا يوجد ».[4]

---

[1] زكي نجيب محمود، نظرية المعرفة، مؤسسة هنداوي، 2017، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص14.

[3] المرجع نفسه، ص23.

[4] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص63.

« إن الإنسان في البراغماتية مكون من عقل وجسم متصلين معا ومتكاملين مكونين للشخصية الإنسانية، ولذا فإن وسيلة المعرفة عندهم هي العقل والحواس معا فالحواس تتلمس الأشياء والظواهر والعقل يفكر في نتائج ثم يتفاعل مع هذا الموقف، وعن طريق هذا التفاعل تحدث المعرفة ».

المعرفة كما يقول جون ديوي « المعرفة من حيث هي فعل أو عمل هي إبراز بعض استعداداتنا إلى نطاق الوعي بقصد تبديد حيرة ما عن طريق فهم الصلة بيننا وبين العالم الذي نعيش فيه ».[1]

وعلى هذا فإن المعرفة عند ديوي هي معرفة وسائل لحلول وهذه الحلول لا تكون إلا لمشكلات قائمة فعلا، أي أن الإنسان يعترضه عوائق أو عقبات في حياته ثم تأتي المعرفة فتزيل هذه العقبات.

« فالمعرفة عند جون ديوي أداتية نتخذها لتنظيم الأشياء تنظيما جيدا حسبما نريد، وليست الحقائق ثابتة موجودة وجودا سابقا ولكننا نكسب المعرفة كلما تدرجنا في البحث في سرنا في الطريقة ».[2]

فإن المعرفة أداتية عند جون ديوي وهي ليست أولية ولا سابقة على التجربة بل إنها من التجربة نفسها وهي ثمرة لها وهذه المعرفة في المنهج التجريبي تجري معه وتتطور كلما تطور.

فالمعرفة في رأي ديوي: « نشاط يستشار حين يظهر موقف من المواقف المتأزمة، فمثل هذا الموقف صغيرا كان أم كبيرا يجبر الإنسان على أن يصل ويأخذ بالحسبان المادة الخام التي يحتويها الموقف والمادة المحسوسة الموجودة بالفعل، وأن يحضر من أجل المزيد من المعرفة ».[3]

يمكن القول أن المعرفة لدى ديوي أداتية "تجريبية" تظهر في الإنسان عندما تقابله عقبات أو تصادفه عوائق وتقوم في جهده لتذليل العقبات والعوائق وبهذا تكون المعرفة عند ديوي في خدمة مطالب الحياة فالمعرفة ذاتية فردية، أقرب إلى أن تكون نسبية تعتمد على ما يدركه الشخص الواحد من نتائج والمعرفة ظنية حسب ديوي.

---

[1] جون ديوي، الديمقراطية والتربية، المصدر السابق، ص305.

[2] جون ديوي، البحث عن اليقين، المصدر السابق، ص17.

[3] أحلام محمد حكمي، البراغماتية دراسة تحليلية نقدية، جامعة الأزهر، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد 36، العام 1438هـ/2017م، ص16.

« فالمعرفة عنده نتيجة من نتائج النشاط وظيفتها توجيه هذا النشاط توجيها يساعده على تحقيق غاية».

يقول الدكتور زكي نجيب محمود: « ليست نسخة من أصل هو الحقيقة الخارجية بل هي بيان لما يمكن أن يكون عليه سلوكنا في حياتنا العملية بحيث نحقق رضا النفس لأكثر عدد ممكن من الناس ».[1]

وإن ديوي استخدم التجربة لاكتساب المعرفة الصحيحة التي أصبحت عملا موجها، فالمعرفة عند جون ديوي « آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة »، يقول جون ديوي: « إن المعرفة العقلية آلة ضبط عندما تصادفنا عقبة »،[2] قال أيضا: « أن المعرفة أداة العمل ووسيلة للتجربة ».[3]

وهذه المعرفة عند جون ديوي بصفة عامة أما الحخقيقة التي تحدث عنها جون ديوي فهي « علاقة تمثل تطابق الفكر مع الواقع لكن التطابق ليس مجرد غموض وغير محلول ولكنه تطابق بمعناه المعروف الشائع، فإن الموقف المليء بالاتجاهات المتصارعة والشكوك فيها يفجر التفكير باعتباره وسيلة التحكم فيها، وهذا الموقف ينتج عنه نتائجه المتوافقة وتخرج منه ثماره الخاصة ».[4]

إن ديوي سار على نفس ما سار عليه السابقون من الفلاسفة البراغماتية مثل بيرس وجيمس فإذا كانت الحقيقة هي أن أي فكرة تكون صادقة إذا ما اتفقت مع الواقع فإن ديوي يرى « أن الموقف المشكل هو المضمون الذي فيه كل شيء يقال عن المعرفة والحقيقة أي مرجع يمكن العودة إليه يومكن به فهم ذلك المفهوم ».[5] والفكرة لا توصف بأنها حق إلا إذا كانت دليلا ماديا يسدد خطى صاحبها في مرحلة السلوك أي مرحلة التنفيذ فصوابها هو في هدايتها لصاحبها. يقول جون ديوي: « الحق هو ما يهدينا موفقة والقدرة المحققة في مثل هذه الهداية الموفقة هي على وجه الدقة ما نعنيه بكلمة الحق ». فالعلاقة بين الأفكار والحقيقة هي علاقة واحد بواحد كما يقول ديوي: « وكلما كانت الفكرة متطابقة بشكل أقرب كلما كانت صادقة، فالفكرة الناجحة هي التي ستؤدي إلى النجاح أو تحقيق الغرض ».

[1] أحلام محمد حكمي، البراغماتية دراسة تحليلية نقدية، جامعة الأزهر، المرجع السابق، ص17.

[2] مرد وهبة، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص36.

[3] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ص05.

[4] أحلام محمد حكمي، البراغماتية دراسة تحليلية نقدية، جامعة الأزهر، المرجع السابق، ص21.

[5] المرجع نفسه، ص22.

وبصفة عامة فإن الفكرة الصادقة في أي موقف تكون مع اتفاقها مع الواقع، فديوي يؤكد هنا أنه يتفق مع جيمس في المقولة فهو يعيد ما قال به جيمس من قبل: « من أن الحقيقة هي اتفاق الفكر مع الواقع ».[1]

فإن الحقيقة عنده ليست مطلقة بل هي نسبية فهي شيء يصنع مثل الصحة والثروة يصنعها الإنسان بكفاحه ونضاله ليستفيد من الوجود، وقد ربطها ديوي بالبحث مما يؤدي إلى حل المشكلة فكريا أو عمليا فهو حقيقي فإن الحقيقة ليست خالدة ولا ثابتة، فإنها شيء محسوس جزئي وموجود في عالمنا الأرضي وأنها في تغير وتطور حسب إفادتنا منها، فالحقيقة ذاتية مردها إلى الفرد والمنفعة فإن أي موقف يكون متفق مع الواقع فإن الفكرة صادقة والحقيقة بصفة عامة هي اتفاق الفكر مع الواقع.

« فالحقيقة هي خاصية أو صفة مميزة لبعض أفكارنا وتعني توافق هذه الأفكار مثلما تعني كلمة الزيف عدم توافق الأفكار مع الواقع، الواقع شيء تتوافق معه أفكارنا نقول الفكرة السائدة عموما إن الفكرة الصحيحة يجب أن تكون نسخة لواقعها، فأفكارنا الصحيحة عن الأشياء المحسوسة تشكل نسخة لتلك الأشياء بكل تأكيد مثل أغلق عينيك وفكر بتلك الساعة المعلقة في الجدار تحصل على صورة حقيقية أو نسخة مطابقة لقرص الساعة نفسها ».[2]

فمجمل القول أن المعرفة والحقيقة عند جون ديوي المعرفة أداتية وهي ليست أولية ولا سابقة على التجربة بل هي التجربة نفسها يعني أن المعرفة عنده أداتية تجريبية وهي تظهر عند مواجهة عقبات والحقيقة هي أن تكون الفكرة أو أفكارنا متفقة مع واقعنا فكلما كانت الفكرة متفقة مع الواقع كانت صادقة.

وقد كان لديوي اهتمام كبير منذ شبابه بالمنطق وبحث في أعماقه حيث خرج بمنطق جديد يمثل الواقع البرغماتي، « فالمنطق صناعة يونانية وأرسطو هو الذي وضع أصول ذلك العلم حتى سماه العرب ولم يجعل صاحب المنطق بأن المنطق علم من العلوم بل آلة لها ».[3]

فتختلف النظرية المنطقية باختلاف الأساس الذي يبنى عليه العلم في العصر السائد، فكلما تغير العلم من أساسه تغيرت مع نظرية المنطق لأن المنطق هو تحليل لمفاهيم العلم وطرقه لتوضيح صورها. كما تختلف النظرية العلمية في عصر معين فكل فيلسوف من المذاهب الفلسفية له وجهة نظر حول النظرية المنطقية «

[1] أحلام محمد حكمي، البراغماتية دراسة تحليلية نقدية، جامعة الأزهر، المرجع السابق، ص23.

[2] وليم جيمس، البراغماتية، المرجع السابق، ص181.

[3] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص109.

وظهر ديوي في الوقت الذي كانت حركة المنطق التحليلي على أشدها ومن الطبيعي أن ينتقد ديوي ذلك المنطق الجديد ويبين عيوبه حتى يبرز منطقه الجديد »، فديوي جعل البحث أساس المنطق فهناك اختلاف بين المنطق الأرسطي والمنطق البراغماتي.

يرى ديوي أن المنطق هو الواقع أو الحياة العملية أي الموقف فإن كل باحث في بحثه يواجه موقفا ما لمحاولة كشف نتائج جديدة.

« النظرية بإيجاز هي كل الصور المنطقية بكل ما لها من خصائص مميزة إنما تنشأ داخل حدود الإجراء الذي يجربه القائم بالبحث وهي كلها معينة بضبط عملية البحث ضبطها يهيئ لتلك العملية أن تنهي بصاحبها إلى تقريرات مقبولة »،[1] فإن في كل بحث يسير تفكير الباحث بمواجهة المشكلة ثم يحددها ثم يضع فرضا أي يفترض ثم يحققها.

كان الهدف من الوضعية المنطقية والتجربة العلمية لأنها تهتم بالعلاقات بين الظواهر المختلفة « واضح أن المنطق يكون تجريبيا ومعياريا في نفس الوقت يعمل المنطق يعطي ما تقدمه الخبرة من مادة تجريبية، مارس الناس التفكير لعصور طويلة وفكروا بطرق متعددة في كل أنواع النتائج ولاحظوا واستدلوا... وتحبرنا كل التركيبات المنطقية السابقة عن كيف فكر الناس وعن نتائج العمليات الفكرية المختلفة ».[2]

فإن المنطق يتعامل مع قوانين التفكير الصحيح فتأتي العديد من وجهات النظر المختلفة في موضوع دراسته لتنتهي إلى تعبير عن فلسفات أخرى وتعود النتائج التي ينتهي إليها لتكون أداة لتأييد هذه الفلسفات.

إن ديوي يقوم بتبرير موقفه الذي يصفه أنه: « العلم الذي يبحث في قوانين الفكر الضرورية أو أنه علة العلاقات بصرف النظر على طلتها بالفكر، ولكن ديوي لا يوافق على هذا الاتجاه أي عزل قوانين الفكر أو العلاقات عن العالم الواقعي الذي نفكر فيه بل مهمة المنطق الأساسية هي البحث في علاقة الفكر من حيث هو كذلك ».[3] لا يمكن الفصل بين علاقة الفكر والواقع فمن طبيعة الإنسان المنطقي أنه يفكر في كل شيء فالمنطق يعني أن الأسلوب الذي يساعدنا على تصحيح تفكيرنا فهو نظام كل علم، « إن المنطق يقوم

[1] جون ديوي، المنطق نظرية البحث، تر: زكي نجيب محمود، تقديم: عبد الرشيد الصادق المحمودي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص58.

[2] جون ديوي، إعادة البناء في الفلسفة، المصدر السابق، ص127.

[3] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص110.

بالتشكيل المنظم والواضح للإجراءات والعمليات التي تمكن عملية إعادة البناء من الاستمرار بصورة مختصرة ومفيدة واقتصادية، يكون المنطق بلغة الدارسين علما وفنا ويعد علما طالما يقدم تفسيرا وصفيا للاختيار بالطريقة التي يعمل بها الفكر، ويصبح فنا طالما أن هذا الوصف يقدم مناهج يستطيع بها الفكر المستقبلي القيام بالعمليات التي تؤدي إلى النجاح ».[1] إنه يقدم للفكر الإتقان والدقة والنظرية المنطقية هناك ميدان واسع من الدراسات التجريبية في طرق البحث، وهكذا يكون المنطق « ذا قيمة كبرى للبشرية وعلى درجة كبيرة من الأهمية لأنهن يستمد من التجربة ويتم اختباره فيها، وإذا تم وضع ذلك في الاعتبار لن تصبح مشكلة النظرية المنطقية إلا مشكلة إمكانية تطوير منهج فكري يتم توظيفه في الأبحاث الخاصة بعملية إعادة بناء الخبرة بطريقة مقصودة ومحدودة ».[2] وهكذا نجد نظرية ديوي المنتطقية توجد بين الجانب النظري والجانب العملي، إن كل واحد يريد أن يقوم بإجراءات معينة أن يوحد بين الواقعة والملاحظة مع الفكرة التي يتصورها أي هناك تفاعل بين النظر والعمل.

إن منطق ديوي يتميز بالصورة أي انطباق الفكر على نفسه وعلى هذا يكون الحق ثابتا لا يتغير، فجون ديوي يتصور المنطق على أنه نظرية في البحث وإقرار ديوي أن الفكر والعلم في تفاعل مستمر.

كما يرى أن المناهج العلمية الحديثة ليست لها جدوى وفائدة القضايا الكلية الصورية في المنطق الأرسطي لأنها لا توجد في مضمونها المنطقي إن العلم لا يقبل إلا القضايا الوجودية كما ذكر ديوي في موقفه « كل الأشكال المنطقية بخواصها تنحبس داخل عملية البحث وتعني بضبط البحث حتى يمكن إستنتاج قضايا مؤكدة مبرهن عليها، ويتضمن هذا التصور أبعاد أكثر مما تكشف عن معظم الأشكال المنطقية خاصة عندما نفكر في عمليات البحث المستخدمة بالطبع إنها تعني ذلك ولكنها تعني أيضا أن الأشكال تنشأ في عمليات البحث ».[3]

نجد أن فلسفته مبنية على التفاعل بين ما هو عقلي وتجريبي، مثالي، واقعي، عملي ونظري كما يرى أن الخبرة ترجع إلى حالات عقلية والمبادئ المنطقية الموجهة إما صورية أو مادية.

---

[1] جون ديوي، إعادة البناء في الفلسفة، المصدر السابق، ص127.

[2] تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، تر: إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص80.

لابد للمعرفة أن تخضع للمراجعة والبحث لأن المنطق نابع من العقل المجرد ويريد ان يتفاعل بين ما هو عقلي وعملي فإن هناتك علاقة بين نظرية المعرفة والمنطق ويجب أن تكون وظيفة المنطق وظيفة أداتية.

يبين ديوي إلى القضايا هناك بسيطة ومركبة تحتاج إلى إجراءات تجريبية « يقوم برهان صدقها على تلك القضايا المعينة لكن تسليمنا بذلك لا يتعارض قط مع كونها منتزعة منها باعتبارها حوادث وجودية تجريبية».[1] ديوي غالبا يبحث عن أصل القضايا وكيف نستخرج بطرق مختلفة قد تكون من خلال العقل أو التجربة.

يعتبر جون ديوي أن المنطق منبت الخبرة وهذا ما يقر به حين قال أن المنطق « قائم على الخبرة بنفس الطريقة التي يكون بها أي علم طبيعي تجريبيا في مادته ونتائجه أي أنه قائم على الخبرة بنفس الطريقة التي يكون بها أي علم طبيعي قائما على الخبرة، فهو متميز بهذا مما يكون تأمليا صرفا ومتميز كذلك مما هو قبلي وحدسي ».[2] يعني أن الخبرة هي أساس المنطق وهي فكرة أكد عليها بيرس وديوي أخذها عليه وأكد عليه.

إذا تحدثنا عن منطق المعرفة القديمة والحديثة نجد ديوي يرفض كل علاقة وخاصة في موضوع الكم بالنسبة للأشياء التي يراد قياسها والتي كانت عائقا أمام عمليات البحث في الفلسفة اليونانية إذ يقول: « لكن هذه الحقيقة نفسها إنما تنم عن الفجوة التي كانت تفصل الكم والقياس الكمي عن العالم ومعقولية المعرفة لكن أنظر على سبيل الموازنة إلى المكانة التي يحتلها القياس الكمي في المعرفة الحديثة ».[3]

إذن إن المنطق هو نظرية البحث كذلك هو نوع من التحقيق، أي التحقيق في الأساليب المنطقية يعني في سلوكنا وتفكيرنا والمقصود هنا بالحقيقة أي الطريقة التجريبية التي تستعملها العلوم في البحث والكشف وهي بحسب ديوي الطريقة المثلى، وإن المعرفة عند جون ديوي أداتية وهي من التجربة أي أداتية تجريبية والحقيقة هي تكون أفكارنا متفقة مع واقعنا تكون صادقة وإن المنطق وظيفته وظيفة أداتية.

[1] جون ديوي، المنطق: نظرية البحث، مصدر سابق، ص277.

[2] المصدر نفسه، ص111.

[3] المصدر نفسه، ص181.

المبحث الرابع: نقد وتقييم.

لقد كان لجون ديوي نسق فلسفي يرتقي للفلاسفة العظماء، ولكن وإن لقي صدى في كل أنحاء العالم إلا أنه تلقى رفض وانتقادات، ولقد تعددت الآراء بشأن تقييم آرائه، فمنهم من عده أقدر فيلسوف أنجبته أمريكا، ومنهم من ذهل إلى الحكم بأنه ترك أثرا ضارا في أفكاره، وهذا الرأي تبناه العديد من الفلاسفة ولهذا وجب الوقوف على أهم المؤاخذات التي أخذت عليه، فما هي أهم الانتقادات التي وجهت إليه؟

نجد منتقدي فلسفته قد أعربوا عن رأي مفاده أن وجهات نظر ديوي كانت مربكة وغير واضحة، وأنها كانت أقرب للمثالية من المذهب الطبيعي القائم على العلم، والذي أقره ديوي.

ومن أهم الانتقادات كذلك التي وجهت لجون ديوي "John Dewey" في فسلفته التربوية حيث تتمثل:

جعل التربية أداة في سبيل المنفعة وبالتالي لم يكن يضع في اهتمامه القضايا التي ليست لها نتائج علمية واستبعادها من دائرة القضايا الصحيحة، وأما رفضه لكل المحاولات التي تهدف إلى اكتشاف نظام أزلي بعيد عن الأحداث المتغيرة التي تشكل الخبرة فهو رفضه للمطلق الأزلي والحقيقة الثابتة الفارغة، حيث أنه عاش كثيرا متأثرا بفلسفة "هيجل" المثالية المطلقة فنظريته الفلسفية لا ترتكز على الجانب الروحة في الإنسان وتبالغ في الاهتمام لما هو مادي في الحياة والكون وتنظر للإنسان على أنه قابل للتجريب كما لو كان شيئا.[1]

فإذا كانت التربية عند "ديوي" هي الفلسفة وهي أساس مذهبه ومجاله الفلسفي فهو يرفض أن تكون التربية علما بالتراث الماضي أو إعداد المستقبل وأن يخضعها لأي شيء خارجي سوء الخبرة ذاتها التي تكسبها المرء بنفسه وتتراكم معه في خبرات مستقبلية، غير أن هذا التصور لا علاقة له بالواقع في شيء، ذلك أن تراث الماضي هو جزء من شخصية الفرد.

إضافة إلى ذلك فقد انتقد فلسفة "ديوي" التربوية اعتبارها للعلمية التربوية على أنها مرادفة لعملية الحياة نفسها وقولها بأنه ليس للتربية أهداف خارجية عن تحقيق التربية نفسها، ومناداتها بتربية شخصية الطفل ككل، وفي

[1] عبد الراضي إبراهيم عبد الرحمان، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، دار الفكر العربي، ط 1، القاهرة، 2002، ص123.

هذا توسيع لمسؤوليات المدرسة بما قد يجعلها تعتدي على مسؤوليات غيرها في المؤسسات التربوية والاجتماعية وبما قد يجعلها أيضا غير قادرة على الإبقاء بمسؤولياتها على الوجه الأكمل.[1]

نجد أن الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تشرف على عدد كبير من المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية لم يسلموا بقسم من آراء جون ديوي في التربية والتعليم، كما أن هذه الكنيسة ترفض من أساس الفلسفة البراغماتية التي يمثلها جون ديوي وتسير على هدى الفلسفة المثالية.

هناك العديد من المربين الأمريكان وقفوا "جون ديوي" بالمرصاد، وعارضوا آراءه وأفكاره التربوية ومن أشهر هؤلاء "وليم باكلي"، الذي كان يرى أن عملية التربية هي عملية نقل التراث الأساسي والمحافظة على الجور الثقافية في ذلك العصر، والتمسك بالقيم والمثل الروحية الأساسية على أن لا يتحول ذلك كله دون تطور المجتمع وتقدمه.[2]

حيث هناك العديد والكثير من المعارضين "لجون ديوي" في مجال التربية والتعليم، حيث يرون أن عملية التربية هي عملية نقل التراث من الجيل القديم إلى الجيل الجديد مثلما يرى "وليم سي بكلي" وأن تريب أبناء الجيل الجديد على التفكير عن طريق الدراسات الأساسية التي تبينت فائدتها كالفلسفة والمنطق والرياضيات والدراسات الإنسانية.

كما نجده يرفض أن تكون « التربية علما بتراث الماضي أو أن تكون إعدادا للمستقبل إنه يأبى أن يخضع التربية لأي شيء خارجي... وليس هذا من الواقع في شيء أنه تراث الماضي جزء من شخصية الفرد، كما أنه جزء من شخصية الأمة، وهناك أمور لابد أن يتعلمها وتفرض عليه فرضا لأنها من جملة الحياة ».[3] وبالتالي كان عليه أن يقوم بعزل الأطفال عن الواقع المعاش وحصرهم فقط في مجال الخبرة.

إن اعتبار جون ديوي الخبرة هي وحدها المربية يعد أمرا عرضيا، فالطفل لا يربي نفسه بنفسه بل يربى ويعد ليكون فردا صالحا مع الأخذ بعين الاعتبار نفسيته ورغباته واجاته، رغم أهمية توجيه الاهتمام إلى نفسية الطفل وهي من الأمور التي تحمد لـ"ديوي" والتي كان لها الأثر الكبير في التربية في جميع أنحاء العالم.

[1] عبد الراضي إبراهيم عبد الرحمان، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، المرجع السابق، ص123.

[2] جون ديوي، المدرسة والمجتمع، مصدر سابق، ص21.

[3] أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص66.

ولهذا يجب أن تستلزم التربية إعادة بناء الخبرة لا يمكنها التخلي عن هذه الخاصية، وافتراضية أن التربية « هي النمو والنمو هو غايتها وليس لها غاية أخرى، ففي هذا الافتراض شيء من الأوهام، لأن الطفل يتعلم في المدرسة والمدرسة جزء من المجتمع بل من الدولة التي تخضع لسياسة معينة وفلسفة خاصة، ولا حيلة للمتعلم إلا أن يسير في نيار الفلسفة التي توجهها الدولة، وهذا هو سبب اختلاف التربية بين الدول أنظمتها وسياستها، فالأطفال لا يضعون تلك المذاهب وإنما ينشؤون عليها ».[1]

لقد أهمل هنا "جون ديوي" "John Dewey" الجانب السيكولوجي عند الطفل في التربية وركز على الجانب العملي والنفعي، أي ما ينفع هو خير وما لا ينفع فهو شر رغم إشارته لأهمية الجانب النفسي، حيث أصبح توجهه الفكري في التربية يقوم على جعل المتعلم يستفيد منه بطريقة براغماتية على أساس التربية يقوم على جعل المتعلم يستفيد منه بطريقة براغماتية على أساس كل العملية التعليمية، وإيمانه التغير وجعله سمة من سمات فلسفته التربوية والذي لاقى الكثير من الرفض.

« وهنا "ديوي" أخذ مناداته بتربية شخصية للطف ككل، وفي هذا توسيع لمسؤوليات المدرسة بما قد تجعلها تعتدي على مسؤولية غيرها للمؤسسات التربوية والاجتماعية وبما قد يجعلها غير قادرة على الاكتفاء بمسؤوليتها ».[2]

لهذا تكون الاستمرارية بين المدرسة وغيرها من التنظيمات الاجتماعية صعبة المنال ولتبلغ المدرسة والمجتمع التي تطمح لها التربية فإن هذا يتطلب إمكانيات مادية وبشرية كبيرة جدا، وحتى الطريقة التربوية القائمة على المقاربة بالكفاءات تقتضي تكاليف مادية ومتطلبات إدارية ليست في متناول المدارس العادية وهي الأكثر انتشارا.

ومن أوجه النقد التي وجهت لفلسفة "ديوي" أيضا أن ديوي يركز على الحواس وكل ما يمكن قياسه ماديا وبذلك أخذ جانبا من المنهج العلمي السليم، في حين أنه فرط في قدرة العقل على الاستنباط والاستدلال، أنه غرس في أعماق التربية فلسفته الإلحاديةحيث أصبحت القيم نسبية ومنغيرة.

ففي مطلع السبعينات من القرن العشرين، لدأ الأمريكيون يفكرون تفكيرا يخالف ما نصت عليه التربية الديوية التي جاء بها "ديوي".

[1] سعيد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، المرجع السابق، ص360.

[2] عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، 1971 ص366.

ومثلما ثار هو على التربية التقليدية بحجة الجمود والعقم، كانت ثورة بعض رجال التربية الأمريكيين عليه بحجة أن التربية الديوية قتلت الثوابت وأزالت العقم والتي لم يصبح لها أي معنى في المجتمع الأمريكي، فهي تنكر القيم الثابتة والتي تعتبر معايير خلقية أساسية لكل مجتمع، بل وتم استغلال مبادئ الحرية والديمقراطية استغلالا سيئا حتى أثر ذلك الجانب الثقافي للمتعلمين، وبهذا توجهت النظرة إلى اعتبار التربية للعقل على تكوين ثقافة داخلية خاصة به.[1]

نجد هنا أن البراغماتية كفلسفة أمريكية تمقت البحث النظري العقيم الذي يركز على كنة الأشياء ومصادرها، وأخذت تركز على نتائج الأعمال وعواقبها، وأجازت للإنسان أن يتخذ من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أو لا، ثم السير بالحياة نحو السمو والكمال ثانيا، وظهرت كردة فعل لموجات الفلسفة المثالية التي حملها المهاجرون الألمان، ووجدت مداها عند نفر من الشعراء والكتاب الأمريكيين، ثم انتقلت لعد ذلك إلى نفر من الأساتذة الجامعيين المختصين في الدراسات الفلسفية.

إن المنطقات التي تعتمد عليها التربية الديوية رغم ما فيها من العيوب التي قد لا تتماشى والطابع العقائدي والثقافي لكثير من المجتمعات، إلا أنه يجب أخذ ما فيها من محاسن والتي تفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا، والتي ترسمها بصماته التربوية التي لا يمكن إنكارها بأي حال من الأحوال، ولعل ما تركه من مؤلفات تملأ جميع مكتبات العالم خير دليل على مدى إسهامه الكبير في ميدان التربية، بالإضافة إلى طرقه التربوية والعلمية للمدرسة وجميع أنشطتها ففيها ما يمكن أن يفيد منظماتها التربوية إذا ما أحسننا فهمها واستخدامها ولأننا نعيش في عصر التقديم والازدهار والنمو والتطور والتكنولوجيا، نشعر بأهمية العلم ونلاحظ مدى اقتحامه لكل مجالات الحياة، هذا ما يجعلنا في حاجة إلى فلسفة تربوية معينة تهدف إلى خلق مجتمع يساير تطورات العصر ويتماشى معه ويتمسك بهويته وثقافته.

ويمكن أن نستفيد مم قدمته الفلسفة البراغماتية في الميدان التربوي بالأخذ بالدعائم العلمية الأساسية من فلسفة "جون ديوي" التربوية وهذه الدعائم هي إيمان بروح الديمقراطية والقيم الأخلاقية حتى يتحقق الإصلاح الاجتماعي في شتى أنحاء العالم، فيجسد مبدأ الديمقراطية والأخلاق وبذلك يضمن تربية المجتمع ويجعل الحياة حرة ويعتمد على الاحترام وقبول الرأي الآخر، أما فيما يتعلق بمنظومتنا التربوية في العالم العربي فيمكن الاستفادة مما قدمته التربية وجعلتها مرجعية فلسفية لمنظومتنا التربوية على أن نكيفها مع ما

[1] سعيد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، المرجع السابق، ص515.

يلاءم ثقافتنا وطابعها الاجتماعي، حيث نأخذ منها ما يساعدها على التطور وتجاوز الطرق التقليدية والتوجه نحو الأساليب الجديدة والمتطورة والعلمية لتسمح لها بالخروج من دائرة التخلف.

فنجد أيضا "ديوي" اعتمد العقل في بناء أفكاره الأساسية، فلولا العقل لوجدنا أن الكثير من الفلاسفة والمفكرين أخذوا بأفكاره وعلمه في بناء أفكاره، فقد تبنوا أفكاره وأخذوا بها من أجل بناء أفكارهم وفي كل مجالات المعرفة.

خاتمة

في خاتمة هذا البحث أصل إلى أهم النتائج المتعلقة بموضوع الفلسفة البراغماتية عند "جون ديوي" John Dewey :

- جون ديوي فيلسوف براغماتي أمريكي وهو ثالث من بناة الفلسفة البراغماتية.
- إن الأصول التاريخية للفلسفة البراغماتية تنقسم إلى أصول فلسفية براغماتية وأصول علمية تمر بعصور العصر اليوناني والوسيط والحديث.
- إن أفكار جون ديوي البراغماتية واقعية اجتماعية وهي من الحياة الفكرية والسياسية للمجتمع الأمريكي فهي تعكس صورة الثقافة الأمريكية.
- فقد كان لجون ديوي مرجعية فلسفية من فكره فلقد كان لها أثر كبير في فلسفته، وإن نظرية دارون كان لها أثر كبير في فكره.
- فنجد جون ديوي قام بتسمية البراغماتية بالأداتية أو الذرائعية، وجعل أفكاره عبرت عن وسائل وأدوات التي استخدمها في مجرى الحياة وتلك الفائدة والمنفعة التي استخرجت من الأفكار بالنسبة للإنسان هي التي تقدر قيمتها، فالعمل المتضمن في الفكرة هو معناها الذي يشكل المعيار الذي تميز به بين الصواب والخطأ بالنسبة للفكرة.
- قام جون ديوي بإعادة فلسفة جيدة على أنقاض التيارات الفلسفية لهذا يقوم بمناقشة بعض الآراء وذلك راجع إلى وجود بعض التجارب العلمية التي استعان بها.
- إن المعرفة عند "ديوي" أداتية تجريبية في الإنسان عندما تقابله عقبات أو تصادفه عوائق.
- قام جون ديوي بتسمية مذهبه بالأداتية نسبة إلى تلك العمليات التجريبية التي تقوم بها في بحثنا لأن الأسلوب الأداتي يحقق أفكار من آثار نافعة واتخاذ من الأشياء وسائل المعرفة لا موضوعا لها، لذلك يؤكد لنا أنه لا يمكن أن تكون هناك أفكار حقيقية إلا إذا كانت هناك أدوات تعتمد عليها في

حل مشاكلنا، ومن هذا المنبر نجد أن المذهب الأداتي لجون ديوي يدعو إلى استخدام منهج العلوم التجريبية.

- كما أكد لنا ديوي أن أفكاره في التربية نابعة من حياته ومجتمعه إلى ضرورة بناء التربية الديمقراطية على أسس علمية وأن ما قمنا به في عرض الأفكار أدى بنا إلى الوصول إلى نتائج مختلفة ومتنوعة، ولقد توصلنا إلى رغبة "ديوي" المصرة في بناء المجتمع المعاصر الذي يتماشى والتطورات التي أنتجها التطور العلمي والتكنولوجي وإصراره على اختيار أفكاره الفلسفية، ومن ثم إعادة بناء التربية على الأسس الفلسفية البراغماتية.
- إن فلسفة التربية عند "جون ديوي" John Dewey تعلن عن رفضها للفلسفات التقليدية التي تعتمد على التوصية والتلقين وهذا الإلغاء يبين لنا أن فلسفة ديوي تتميز بالتغيير والتجدد والاستمرارية، وهذا ما جعلنا لا نفرق بين نظريته في التربية ونظريته الفلسفية، حيث جعل كل منهما في حركة مستمرة، لأن الطريقة البراغماتية تربط بين الأفكار وما تحققها من منافع.
- التربية هي الحياة وليست إعداد للحياة فالتربية السليمة هي تلك التي تحقق النمو المتكامل للإنسان وتقوم على سلسلة من الخبرات وتؤكد على الأهمية التربوية للعمل والممارسة، وأن تكون المدرسة مجتمعا صغيرا كالمجتمع الكبير.
- استبعدت البراغماتية الطرق الشكلية في التدريس واعتمدت على ميول الأطفال وخبراتهم وإثارة ميول جديدة وخبرات أكثر تنوعا مع التأكيد على الفردية بين الأطفال واعتمدت طريقة النشاط.
- إن فلسفة التربية تساعد على تطوير المنظومة التربوية في بلادنا يتجاوز الممارسات التقليدية والتوجه إلى الأساليب الجديدة والمتطورة والعلمية كدعامة عصرية لعمليات التدريس، مع الحرص على الحفاظ وتعزيز الجوانب التي تعتبر بمثابة العمود الفقري في البنية الثقافية للشخصية الوطنية، وهذا هو المسعى الطبيعي لكثير من المجتمعات اليوم.

- إن الأخلاق عند "ديوي" تعتبر ميدانا مرتبطا بالبيئة الاجتماعية لأن ظهور المشكلة الأخلاقية تكون عندما تتعارض الغايات، حيث أن ما يسمى بالأخلاق تتعلق بسلوك الفرد وتفرقه بين ما هو السلوك الحسن وما هو السلوك السيئ.
- إن القيم الأخلاقية هي أمور إنسانية نابعة من الحياة المعاشة مما تجعل الخبرة الذاتية للفرد هي وسيلة للمعرفة، أي أن كل معارفنا نابعة من تلك الخبرة المسبقة لكي تستطيع التعامل مع العالم الخارجي، وأن كل تغير يظهر في العمليات الأخلاقية فهو راجع إلى ظهور تغيرات في المجتمع.
- أما فيما يخص أهم المرتكزات الفلسفية والمنطقية فإننا توصلنا إلى أنها لا تخرج عن النسق البراغماتي فهي تركز على فلسفة الخبرة والتي يكن متطرفا لها كما يعتقد الكثير، لأنه حاول الاستفادة بالخبرات الصالحة ورفض غيرها من الخبرات لأنه يريد بلوغ الإنسان الفعال، فهي تساعده على استغلال الحاضر واستثماره لتجاوز المشكلات التي تعترضه في واقعه.
- أما بالنسبة لمنهجه المنطقي فوضع له خطوات يلتزم بها الفكر السليم في انطباقه مع نفسه ومع الواقع، تلك خطوات توازي المنهج التجريبي الشهير، ومعه تبرز نتيجة أخرى في غاية الأهمية وهي أن منهجه الأداتي كان ملازما لكل تصوراته الفلسفية والعلمية والمنطقية، لأنه هو الطابع العام لفكرة عامة.
- كما أن البراغماتية عند "جون ديوي" تعد أداتية في المعرفة والمنطق وهي تجعل الأفكار أداة لتغيير الواقع فإن قيمة الشيء تقدر بمدى الفائدة والنفع.
- وكذلك إن الحقيقة عند البراغماتيين ليست خالدة ولا ثابتة بالشيء الذي ينبغي علينا تأمله، إنها شيء محسوس جزئي وقد ربط "ديوي" الحقيقة بالبحث الذي يؤدي إلى حل المشكلة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، سورة الروم، الآية 39.

*** المصادر:**

- جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، تر: أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1959.
- جون ديوي، إعادة البناء في الفلسفة، تر: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، 2010.
- جون ديوي، البحث عن اليقين، تر: أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1960.
- جون ديوي، الحرية والثقافة، تر: أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، الإسكندرية، 2003.
- جون ديوي، الخبرة والتربية، تر: محمد بسيوني ويوسف الحمادي، دار المعارف، مصر، 1954.
- جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: لبيب النجيبي، مؤسسة الفانجي فران كلين، القاهرة، 1964.
- جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، تر: عبد الفتاح السيد هلال، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.
- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، تر : أحمد حسن الرحيم، منشورات دار مكتبة الحياة، ط 2، 1978.
- جون ديوي، المنطق نظرية البحث، تر: زكي نجيب محمود، تقديم: عبد الرشيد الصادق المحمودي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
- جون ديوي، تجديد في الفلسفة، تر: أمين مرسي قنديل، مكتبة الأنجلو المصرية، 1947.
- وليام جيمس، البراغماتية، محمود زيدان، دار المعارف، القاهرة، 1958.
- وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، تر: محمود جب الله، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- وليم جيمس، البراغماتية، تر: وليد شحادة، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2014.

*** المراجع:**

- إ. م بوشنيسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، 1978.
- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، ط 3، القاهرة، 1959.
- بدوي عبد الرحمان، خريف الفكر اليوناني، دار مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1943.
- تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث، ج 1، ليبيا.
- تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، تر: إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996.
- توفيق الطويل، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، ط 3، القاهرة.
- دايلو ادال جيرار، الفلسفة الأمريكية، تر: الشعراوي إلهام، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، 2009.
- رالف وين، قاموس جون ديوي للتربية، تر: محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو مصرية، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1964.
- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة.
- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، ج 1، 1986.
- زكي محمود نجيب، من زاوية فلسفية، دار الشروق، ط 4، بيروت.
- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط 1، 1987.
- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط 3، 1987.
- زكي نجيب محمود، نظرية المعرفة، مؤسسة هنداوي سي أي سي، 2017.

- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1955.
- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1955.
- سماح الرافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط 1، 1973.
- صالح عبد الغني عبود، في التربية المقارنة، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، 1974.
- عبد الحفيظ محمد، الفلسفة والنزعة الإنسانية، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية.
- عبد الراضي إبراهيم عبد الرحمان، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، دار الفكر العربي، ط 1، القاهرة، 2002.
- علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، دار الكتب العلمية، لبنان، 2008.
- عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، 1971.
- فرحان محمد جلوب، دراسات في فلسفة التربية، مطبعة التعليم العالي بجامعة الموصل، العراق.
- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي ، دار الجيل، بيروت، 1993.
- الكحلان، حسن محمد، الفلسفة التقديمية، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- محمد الجديدي، فلسفة الخبرة: جون ديوي نموذجا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 2004.
- محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984.
- محمود سيد مرسي، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف، القاهرة، 1988.
- محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 4، 1986.
- موريس أنجلس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي، دار القصبة للنشر.

- النشار مصطفى، مدخل جديد إلى الفلسفة، دار قباء، القاهرة.
- هربيت شنيدر، تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال عام 2000، تر: محمد فتحي الشنقيطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964.
- وائل عبد الرحمان التل، أصول التربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2007.
- ول ديوارانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، ط 1، بيروت، 2004.
- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 2010.
- يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.
- يوري كوز لوفسكي، الفلسفة اليابانية المعاصرة، تر: خلف محمد الجراد، المؤسسة الجامعية، ط 1، بيروت، 1995.
- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.

*** المعاجم:**

- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مجلد 3، مجلد 3، القاهرة.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج 1، بيروت، لبنان، 1982.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج 2، بيروت، لبنان، 1982.
- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للنشر والتوزيع، ط 5، القاهرة، 2007.

*** الموسوعات:**

- أحلام محمد حكمي، البراغماتية دراسة تحليلية نقدية، جامعة الأزهر، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد 36، 1438هـ/2017م.
- اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط 2، مجلد 1، بيروت، 2001.
- زيادة معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، ج 2، 1988.
- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة الحديثة: جون ديوي، المؤسسة العربية للدراسات، ج 2، ط 1، بيروت، 1984.
- كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي ونظرتهما للطبيعة الإنسانية النفسية العربية، منشورات شبكة العلوم، العدد 2، 2019.
- مجموعة من الأكاديميين العرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية، تقديم علي حرب، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط 1، الرياض، 2003.

فهرس المحتويات:

المحتوى	الصفحة
قبس	
شكر وامتنان	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: مفهوم الفلسفة البراغماتية وجذورها	19-07
المبحث الأول: مفهوم البراغماتية	08
أ. لغة	08
ب. اصطلاحا	08
المبحث الثاني: الجذور التاريخية للفلسفة البراغماتية	11
أ. الجذر الفلسفي البراغماتي	11
ب. الجذر العلمي	15
المبحث الثالث: مبادئ الفلسفة البراغماتية	18
الفصل الثاني: السيرة الذاتية "لجون ديوي" وأهم أفكاره	35-22
المبحث الأول: حياته ومؤلفاته	23
المبحث الثاني: المرجعية الفلسفية لفكر "جون ديوي"	29
المبحث الثالث: الفلسفة الأداتية	32
الفصل الثالث: مجالات تطبيق الفلسفة البراغماتية	77-38
المبحث الأول: في المجال التربوي	39
المبحث الثاني: في المجال الأخلاقي والديني	58
المبحث الثالث: في المجال المعرفي والمنطقي	66
المبحث الرابع: نقد وتقييم	73
خاتمة	79
قائمة المصادر والمراجع	83

الملخص:

موضوع هذا البحث "الفلسفة البراغمايتة عند جون ديوي"، هذا الأخير يعتبر من أهم رواد "الفلسفة البراغمايتة فمن خلال خبرته لاحظ أن الفلسفة الآداتية فعالة لتغيير الأحداث وتساعد الناس على حل مشكلاتهم للتكيف، كما وصفها بأنها عملية اجتماعية تحقق تطلعات المجتمع حيث جعل من كل بيئة مصدرا أداتيا لخلق المعايير الأخلاقية في النفوس البشرية، أما فيما يخص ارتباطها بالقضايا الاجتماعية فهي تعمل على توضيح جميع أفكار الناس ومعالجة كل ما يدور في الواقع.

Summary :

The topic of this research, "Pragmatic philosophy in John Dewey", is one of the most important pioneers of pragmatic philosophy. Through his experience, he observed that the instrumental philosophy is effective for changing events and helping people to solve their problems to adapt, He also described it as a social process that fulfilled society’s aspirations, making each environment a tool for creating ethical norms in human souls. in relation to social issues, it clarifies all people’s thoughts and addresses everything that actually takes place.